

Princeton University Library



32101 079874705

Princeton University Library

This book is due on the latest date
stamped below. Please return or re-
new by this date.



Tawhar
~ ~ ~
~ ~ ~

سَوَاحِجُ الْجَوْهَرِي

تأليف

الاستاذ الشيخ طنطاوى جوهرى

طَبْعُ بِنَفَقَتِهِ

مكتبة التأليف بشارع عبد العزيز بمصر

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الاولى سنة ١٩١٣

﴿ مطبعة التأليف بشارع عبد العزيز بمصر ﴾

(A (RECAP))

BF575

L8J383

1913

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ليلة السبت ١٥ سبتمبر سنة ١٩٠٩

هذه تذكرة يومية ، أذكر فيها ما يعين لي من السوانح ، عبرة لي
وهدي ونور ، لمن يقرأ من أبناء الجيل المقبل ، إني حين عذمت
على هذه التذكرة ، أحسست بسرور وانشرح صدري ، ووقرت في
نفسى أنها سوف يعتبر بها أبنائى الذين لا يزالون فى أصلاّب الآباء ،
وأرحام الأمهات ، بل هجس فى خاطرى أنه لا معنى لحياتى إذا لم
أكتب ما يعين لي ، وأبين ما تلميه على الكائنات ، وما توخى إلى
النفس من المعانى العالميه ، والصور الحكيمه ، فأسألك اللهم أن تمدنى
بروح منك إنك سميع عليم
أطوار الانسان

الانسان يشارك الجماد والنباتات والحيوانات الملك ، يشارك
الجماد فى الثقل والخفة ، وهو نبات يتغذى ويلد ويموت ، وليس
ما يصنع من الولايم ، وما يحمل من المشاق فى تحصيل الاقوات ،
فيجوب القفار ، ويعبر البحار ، الا بما هو نبات
وليس ما يرى للعروس من زينة وبهجة ورفاق الثياب ، والسندس
والاستبرق والحلى والرياش والقراش إلا ما سبقته به الزهرة من الجمال ،
والاصباغ والرقه ، والبهجة وحن الشكل والزينة ابان القاح الذكور
الاناث ، مما نراه مفصلا فى كتبنا ، ومن عجب أن يفرح الناس
ويفتخروا بالولايم والاعراس ، وهم لم يصنعوا إلا ما شاركوا به الازهار

في النبات ولئن ضربوا الدفوف ، وغنى لهم الموسيقىار ، فلقد سبقهم
أنواع النحل والحشرات ، وهن يغنين في زفاف ذكور الازهار لانهن
والعكس ، أليس هذا من العجيب

الانسان يلتذ بالطعام والشراب ، ويفرح بالغلبة والسطوة ، والقهر
والصولجان والملك ، ولم يعمل عن الاسد والنمر ، وسائر السباع
والكلاب ، فانها اختصت بتلك الغلبة ، وهو ملك إذ ينظر في أسر
الامة ، ويسره ارتقاء النوع ، ويكون علمه وعمله عاما ، نافعا ، ومحيط
علما بالعالم على مقدار طاقة البشر ، فهو ملك بعلمه وعمله العالمين ،
حيوان كاسر بصفة الغلبة ، وخنزير ، أو غزال ، أو شاة ، بلذات
المطاعم ونحوها ، وهو نبات بما ينمو ويلد ويموت ، وجماد بثقله
وخواص الاجسام العامة ، وعجب أمره إذ يجمع بينها في وقت واحد
إذا أكل وهو يفكر في الحكمة ، ويأمر بما ينفع العموم

٢

يوم السبت ١٨ سبتمبر سنة ١٩٠٩

طير البلبل في القفص (في حلوان)

جلست للقبولة يوما في حلوان ، إذ أرى أُمَامِي في المكان الذي كنت
فيه طيرا صغيرا ، في قفص حديد ، جاء له خادم المكان ، ففتح القفص
فخرج الطائر على يده بدون تفريج ، شئنا اعتادها لم يشأ أن يفلت
من القفص ، قصوا جناحيه الف ، سجنوه السجن ليلتذوا به ، لا أنيس

له من جنسه ، سالتهم ، أهو ذكر ، أم أنثى ، فاجابوا بالاعتراف بالجهل
عاش بينهم عيشة الراهب في صومعته ، ولكن فرق ما بينهما ، ان ذاك
في اختيار ، وهذا في اضطرار ، قطعوا نسله ، عجب هل يحس بأن له
فصيلة من الطيور ، هل يشوقه ان يرى أحد أبناء جنسه ، هل يدور
بخلده ان كان أنثى أنه لا بد له من طائر ذكر ، وان كان ذكرا بأن له
أنثى ، أهكذا يسوغ في شرع الوجدان افراده ؟ قتل الانسان ، ألم
الحيوان للذته ، وعزله لخدمته ، هكذا فعل بالخصيان (الطواشيه)
وهكذا اتخذ العبيد ، اللهم ما لعبادك لا ينصفون ، ولا يعدلون ، يغير
قويهم على ضعيفهم ، واكثرهم على اقلهم يسومونهم سوء العذاب
يتخذونهم خولا وعبيدا ، يسخرونهم في أعمالهم ، ومنهم من يزحزحهم
التعليم ، ويصدhem عن العلم ، هكذا يفعلون كما فعل صاحب الفندق في
بلبله من قص جناحه ، الانسان يقص جناح الطير ، وينتف ريشه ،
لئلا يطير ، ويقص جناح أخيه بأن يعمده في الجهل ، ويباعده عن
العلم ، إذ العلم جناح الانسان ، ان الانسان لظلوم كفار ، اللهم انا
لا أدرى أى فضيلة في المدينة الحاضرة ، انها مدينة مادية ليس للعدل
فيها نصيب ، اللهم ان بعد هذه المدينة أرقى منها ، ولئن
تجاوز العدل نوع الانسان اليوم ، فلعله يلقاه غدا ، ولئن ظلم في دنياه
فهناك ميعاد في عالم آخر يناله الناس جميعا في صعيد واحد ، كما عدل
بينهم بالموت والولادة ، ظلم الناس في النظام الارضى يتبعه العدل
في النظام السماوى ، وعالم الآخرة

الشورى فى طبيعة الاطفال

فى تاريخه يوم السبت ١٨ سبتمبر سنة ١٩٠٤

شاهدت فى لياالى رمضان صبيات تتراوح أسنانهن ما بين الخامسة والثانية عشرة ، لابسات الثياب الحمر ، يحملن قناديل ، يطفن فى الشارع أمام منزلنا ، يغنين وهن صافات صفافاً ، لهن قيمات منهن فكنت أرى منهن الزاجرة لمن خرجت عن الصف ، والمهيمنة على النظام العام ، وهكذا كنت يوماً فى قرينتنا الصغيرة المسماة « كفر عوض الله » رأيت صبيانا يلعبون وهم يجرون النورج ، ولهم جليلة وضوضاء ، فسألت من حولى من الفلاحين ، فقالوا ان لهم لرئيسا ، ومعه مجلس استشاره ، ألا ترى لك الغلام الذى انتبذ مكانا قصيا على كرسى اتخذه لنفسه يوضع عادة فوق النورج ، ولهم عساكر وضباط ومأمورون ، وكلهم يرجعون الى المجلس ورئيسه ، وانظر هذا الصبي يجرى ليلغ الرئيس اختلال النظام ، وها هو يلقى أوامره ، فانطلقت بهم الى اولئك الصبية فعرفت جليلة الخبر ناصعة ، وقد رفتوا فى ذلك اليوم ثلاثة أدخلوا بالنظام ، فهذه حكومة نظاميه ، اخترعها الابناء من تلقاء انفسهم ، تعلموه من طبيعتهم

أبعد هذا تبقى حجة للامم الظالمة ، المعتدية على حرية الامم الضعيفة ،

أيسوغ للانسان ظلمه ، فطر النمل على النظام الدستوري ، هكذا
 النحل والغربان ، وكلاب البحر ، والقاعدة كل ما احتاج للاجتماع
 فطر عليه ، وأول من ضل من الناس رؤساء الاديان ، الذين حرفوا
 كلمة الدين عن موضعه ، ولم تضل حكومات الشرق قديما الا
 باخلالهم بهذه القاعدة (كل مولود يولد على الفطرة وانما أبواه يهودانه
 أو ينصرانه ، أو يمجسانه) والانسانية وشرفها ، قلت سلطة ارباب
 الديانات فقامت مقامها سلطة القوة ، فان امة بأسرها تسيطر على اخرى
 وتسلبها فضيلتها وتقول لا تصلحين للنظام والدستور ، فتسلبها استقلالها
 (قتل الانسان انه كان ظلوما جهولا) منعوا الرقيق واسترقوه وسيدده
 فظام الانسان ناقص انه ظلوم كفار

- ٤ -

زخرف الغرب حجب أبناء الشرق عما ابتكر آباؤهم الأولون

أليس عجيبا اني اقرأ في كتاب التربية الاستقلاليه ، للمؤلف
 الفرنسي اسكيروس ، الذي ترجمه الى اللغة العربية عبد العزيز بك
 محمد عن الفرنسيه القاضي في المحاكم الاهلية بمصر

هذا الكتاب يسمى اميل القرن التاسع عشر ، حكاية رأيتها بعينها
 في اساطير الاطفال في بلادنا ، أليس هذا من العجب العجيب
 يا ضيعة علوم الشرق بغفلة العلماء ، وجهل بعض الرؤساء ، انما يعرف

الفضل من الناس ذووه ، وليس يعظم الانسان شيئا إلا لما وقر في نفسه من فضائله وجماله ، يجهل الطفل قضية الزواج ، ولذلك لا يعيل اليه لانه لم تظهر فيه الشهوة ، ولو انك خيرت الطفل بين أجل زوجة ولعب الكرة ما فضل على اللعب شيئا ، ولو قيل له اعطني ثوبك الجميل وخذ الملك لابي لانه لا يعلم لذة الغلبة والسلطان والقهر ، وهكذا ذوو القوة الغضبية من الرجال ، وذوو الشهوات الصغيرة منهم ، لا يأسون بالعلم ، ولا يفرحون الا بشهواتهم ، وكأن ترى من زهرات باهرات ونبات حسن غفل عن جماله الجاهلون ، ولو أنك اوقعت جاهلا في حقله ، واخذت بيده وأريته اوراق الزهر ، وبينت جماله واصباغه ونظامه وناموس الالتفاح ، وما أودع فيه من الحكمة والجمال ، لاستغرق ضاحكا وصار من الهازئين ، أليس هذا من نقص فطرته وذوقه ، وقلة علمه واختباره ، هكذا يصغر العلم في عين الامم الجاهلة ، فاذا بصر به العالم بقدره اعظمه

طلما فكرت في امر الروايات والخيالات التي وضعها حكماؤنا السابقون ، وبلغاؤنا الماهرون ، فكرت كثيرا وقلت : أليس امثال قصة عنتره ، وسيف بن ذي يزن ، وخيالات ابن العربي في الفتوحات سعة للمدارك ، ورقيا للامه ، كم سمعت من النهي عن قراءة امثال تلك الكتب ، إذ يقولون ان كتابها لكاذبون ، ولما ان سافر بعض شبانا الى اوروبا رجعوا يولولون وينديون حظ الشرق وجهله وتخريفه ، ويهزأون باساطير آبائنا الاولين فحق القول على آثار علمائنا ، وأعمار اسلافنا ، فطوبت صحائفهم

ودفنت في غياهب المخازن ، فلا يفتحها الا المستشرقون ، هكذا فكرت وايقنت ان الغفلة طمست على الابصار ، واعمت البصائر ، كيف لا وهذه كتب الانجليز مشحونة بالاساطير ، مملوءة بالخرافات أليس هذا من العجيب اليك اللهم شكواى من جهل فاضح ، وتقص واضح ، ولم ازل على هذا الايقان حتى وقفت على ماهو اعجب واغرب ، رأيت مالم يكن ليخطر بالبال ، من عجائب الزمان ، وقرأت في كتاب اميل القرن التاسع عشر الحض على تعليم الصبيان الطرق الخيالية ، والاحاديث الخرافية ، المسماة عندنا (حواديت) وذكر منها اسطورة الحمار للكاتب الفرنسى منتار برولت المولود سنة ١٦٢٨ المتوفى سنة ١٧٠٣ وضع حكايات واساطير للاطفال سماها اساطير الجن منها اسطورة الاصبيغ ولد ضئيل مكرود الطلعه وله اخوة حسان وكان السبب في نجاتهم ، ورغد عيشهم ، اسطورة مشحونة بالجن والنفاريت ، يقول مؤلف اميل ، اقرأوا الاساطير لابنائكم لتقوى القوة الخيالية فيهم ، وقد استحلف الالاء والاساتذة ألا يحرموهم هذه الموهبة الثمينه وما فيها من المبالغات والخيالات ستصلحه العلوم الطبيعية وغيرها بعد زمن الصبا

أدهشنى اسطورة الحمار ملخصها : أن ملكا اراد ان يتزوج بابنته البارعة في الجمال فحزنت واستشارت قرينتها من الجان ، فشارت عليها بان تطلب منه ثوبا لونه لون الشمس ، فأخبر لونه لون القمر تعجيزا له فاحضرها لها فسالته جلد حماره وكان عزيزا فسلخه فلبسته واختفت عن الاعين لسرفيه ، فاستخدمتها زوجة مزارع في حقنها

فبصر بها يوما ابن الملك وهي ترعى الخنازير فهام بها ومرض ويئس
منه الاطباء فسأل اباها ان تصنع له الخادمة لابسة جلد الحمار عدسا
فلما احضر عنده وقد دست فيه خاتمها قال لا اترّوج الا صاحبة هذا
الخاتم فبحثوا فلم يروه يوافق الا لابسة جلد الحمار فتزوّجها ، أليس
من العجيب ان هذه تأليف كاتب افرنسى ، ويقول مؤلف الكتاب
انها تمثل في ثلاثة اشهر من السنة في بلاد الانجليز ، وهو يحض قومه
على محاربتهم ، والسير على منوالهم ، ويتحسر الكاتب على جهل
قومه بهذه الحكاية التمثيلية ، لاسيما ان المؤلف فرنسى ، ولئن بأسف
الفونس اسكروس مرة ، فاني آسف انا الف مرة ، ولئن يعجب من
هذا فاني اكثر تعجبا لما اتفق لى وانا مدرس بالمدارس المصرية ،
قرأت هذا فوافق ما كنت اخفيه بنفسى ، ثم انطلقت الى بلدتى وهي
قرية بالريف ، وكان ابنى قد سبقنى وهو من تلاميذ السنة الاولى فلما
ان رأيت سألته عن سيره فقالوا لا يفتأ يسمع القصص والاحاديث من
العامه ، وان معه كتابا فيه امثال هذه الاقاصيص وانه يخفيه لئلا نزع
انه يهيم بالجهالة ، فحضر وأراني الكتاب فاذا فيه نفس ما قرأت في
كتاب اميل حكاية جلد الحمار بعنوان (تاجر يريد ان يتزوّج ابنته)
وملخصها انها اقترحت عليه ان يصنع لها بقرة من ذهب تقفل وتفتح
من الداخل ففعل فاختفت فيها فباع البقرة لابن الملك فعثر على الفتاة
فغارت ابنة عمه مخطوبته فاردتها من نافذة المنزل فأوها رجل فقير
وصارت تخطط الثياب وتبيعهها وقد كان ابن الملك مسافرا فرجع
ومرض اذ لم يجد الفتاة فامر اهل المدينة ان يقدموا طعاما له فاحضرت

عدسا ووضعت معه خاتم ابن الملك فلم تطب نفسه الا لتعاطى طعامها
ورفض ما عداه ، وما هداه اليه الا الخاتم فرغب في زواجها لتكون
شفاعة فتم العقد بينهما ، هذا ما رأيت في حكايات الفلاحين ، وأساطير
العجائز في القرى

أفليس من المؤلم المحزن ان نجهل مادون الاوائل من الاساطير ،
ونعدو الى ماسطره الغريون ، نحن لا نعرف ما لدينا من العلم إلا إذا
قدسه الاوروبى ، نجهل فضل ما ورثنا ويعلمه الغربى حكاية بنت
التاجر ، يقصها العجائز والاطفال فى بلادنا ، ويجذرها العلماء والبلغاء
صقلها شارل الفرنسى من نحو ٣٠٠ سنة ومثلها الانجليز فى ملاعبهم ،
وغبطهم الفرنسيين ، وذكروها فى كتب التربية الحديثة ، فقرأناها
غالية الثمن ، عالية القدر وما مثل العلم فى ديارنا الا كمثل فلاحينا يزرعون
القطن فيباع بثمان بخس ، ودراهم معدودة ، حتى اذا حلج على محالج
الانجليز ، ونسج على مناويلهم رجع اليها غالى الثمن ، مضاعفاً بالعشرات
ساء مثلاً فلاحنا وبلغنا ان فى ذلك لعبرة وذكرى لابنائنا ،
وأحفادنا ، فليفتنوا ، وليتذكروا لعلمهم يرشدون



- ٥ -

في تاريخه
النيران في النفوس

في النفس أربع نيران ، نار الحب ، ونار العلم ، ونار الطمع ،
ونار الغضب ، نار الحب كهر بائيه ، ونار العلم أقرب اليها ، ونار
الطمع ذات حطب ، ونار الغضب ذات فحم
هذه النيران الاربعة محرقة مؤلمة ، لكنها مختلفات ، نار الحب
تشتعل وتتقد ، وتحدث نزوعا وولها ، وتأثيره ينتهي بالجنون ، وقد
تثمر أحسن الثمرات في الحياة ، وترفع الى المعالي كما قد تهبط بالمرء
الى أسفل الدركات ، النظرة الاولى حكية ، فاذا أتبعته نظرات كن لها
كغيث ، ينبتها وينميها ، فالحب إما شجرة خضراء ، وإما نار حامية
متى أحسست بشهوة ، فالفسق فاسد سافل ، وان شعرت بانزعاش في
الروح فهو الشريف العالي
فان خفت في الاول فاغضض الطرف ، أو فاصبر عند
الصدمة الاولى ، فانك لا تقع في شركه ، واذا غضبت فاصبر
قد ذكر في مجلس من أبغضه ، فكدت أذمه ولكني أمسكت
لساني فسكت الغضب

في تاريخه

الامم المغلوبة على امرها عرضة لفساد اخلاقها
اذا رأى رجالها خداع المسيطر الاجنبي ونهبه الاموال بالقوانين
الموهومة ، قالوا : فلنحتل لانفسنا ، ولنخص أصدقاءنا بالاموال
والوظائف ، وليس للامة علينا من سبيل ، وليس بهم المسيطر اخلاصى
ولن تجازينى الامة عليه ، وكثيرا ما تجهل صدقي في عملي ، وهى عاجزة
عن شكرى اذا علمت فيدخل في واد كثير الثمرات ، ولم أر في عظماء
مالك الامم وقوادها من سلك سييلا غير هذا ، إلا من رحم ربك
وقليل ما هم

يوم ١٣ سبتمبر سنة ١٩٠٩

حسد الامراء للعلماء

الامراء في الامم الجاهلة يحسدون العلماء على ما آتاهم الله من
فضله ، فيخصونهم حقوقهم ، ويهضمونهم لسببين ، الاول : انهم
عجزوا عن مواهبهم العلمية ، وثله الامة عليهم ، وهى في الغالب
تساقطهم بالسنة حداد ، الثانى : انهم يبعضون الظلم والظالمين ، ويظهرون

للناس عيوبهم ، وفساد اخلاقهم ، فيبغضهم الناس لما انكشف من
سوءاتهم فلهذا كره الامراء اكبر اكابر الحكماء ، كما اتفق لسنينكا
الحكيم الروماني مع ملك الروم واضطهده



الحشرات تأكل مما نلبس ، وتلبسنا ما تأكل

حشرة القطن تبيض على ورقة القطن ، فيصير البيض دودا ،
فيكون الدود حشرة ابى دقيق ، كمثل دودة الحرير تبيض فينقلب الدود
الى شرقة كشرقة دودة القطن ، تلسج على جسمها خيوطا من الحرير
تم تنام فيها ، فاذا ثقيبتا بعد ان صارت حشرة ، فذلك القزوان ماتت
فيه فهو الديباج ، لبسنا الحرير من نسج الدودة ، آكلة التوت ، شقيقة
دودة القطن

خلق الانسان عارى البدن ، مضطرا للملابس تقيه الحر والبرد ،
فزرع القطن وأجرى له الانهار وسقاه ، وقام عليه فاورق . فاستوى
على سوقه واخرج شطاه (أى افراخه) فصار مرعى الدود ومهده ،
وقصورا خضرا تأوى اليها الحشرات ، فتنعم برعيه ، وترتع وتلعب ،
وتعيش آمنة مطمئنة ، فسلط الانسان عليه فجمع ورق القطن واحرقه
ليحرق البيض والدود ، ليحشر لعالم الارواح ، ودودة الحرير نسجت
كرتها لتكون لها مهدا وثيرا ، وقصرا مشيدا ، وحصنا منيعا ، فاتخذها

الانسان لنفسه حللا خضراء وحمراء وبيضاء ، وزفت فيه العرائس
 للزواج ، فيا عجباً زرع الانسان وسقى : وقطع الحشائش فسكنت
 الدودة ، وباضت الحشرة . واستحلت المرعى ، فاضحى ورق القطن
 مرعاها الخصب . وقصرها المنيف . وجنتها العاليه . وحصونها
 المنيفه . ونسجت الشرقة الحريرية على نفسها وقاية من الحر والقر .
 فلبسها الانسان . ونخر بها المملوك والامراء . وذوو الثروة . وأبناء
 المال . الناس يزرعون . والحشرات تحصد وتأكل . والحشرات
 تنسج والناس تلبس . كلانا يخدم صاحبه وهو يريد نفسه . وربك
 يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة . سبحان الله وتعالى عما
 يشركوه

- ٩ -

يوم ١٤ سبتمبر سنه ١٩٠٩

حديث رجل جاوى

فى هذا اليوم حدثنى رجل من أهل جاوه مفكر قال : لما كنت
 فى بلادى انطلقت للرياضة ليلة حتى اذا كنت بجانب الجيش
 الهولاندى سمعت موسيقى تصدح . ورأيت أنواراً تتلألأ فى
 الحجرات . وعساكر فيها يضحكون . ويرتعون ويلعبون . ليس
 هذا المنظر غريباً بل يشهده الناس أجمعون . انا انما ذهبت للرياضة

ولكن فيه سر عجيب ، يتخلى العقل من شوائب . وتفتح له أبواب
العجائب العساكر من واد سحيق . ليسوا من ابناء جاوه . تبوءوا أجمل
مكان في بلادى . انهم لى قصر مشيد . انه على شاطئ نهر . قال
هنا وقفت أسائل تقسى ، واسائل فلاسفة الامم . وحكام الانسان .
أعند اولئك القوم حكمة مما يزعمون . عجبت لهذا المشهد . وحق لى
أن اكون من المتعجبين .

أيسوغ فى شرائع العقل . ونواميس الطبيعة ان يعدل عن اتخاذ
العسكر من أمة . ويجلبون من اخرى . فى اى شرعة من شرائع
الكون . أيها الانسان ما اظلمك واجهلك . أيها الفلاسفة ما أقل
علمكم . واكثر طمعكم وشرهم . أين فلاسفة الامم ؟ أين عقول
العقلاء ؟ لكل حيوان سلاح . ولكل نبات حافظ خلق معه . خلق
مع الثور قرنه . ومع السبع مخبله ونايه . ومع الجاموس قوته . وعظم
جثته . ومع الفيل بطشه وهيكله ونايه العظيم . ومع الجمل أنيابه وحقده
والارانب سرعة العدد . بل للزنبور ابرته . وهكذا النمل وسائر عالم
الحيوان سرى على هذا القانون . من ذا رأى ثورا استعار قرن آخر
او سبطا قلم أظفار صاحبه . وسيطر عليه واستخدمه . أمن ذا شاهد
خلية نحل قلمت إبره . وسلط عليه آخرون . يأكل الحيوان
الحيوان . يسطو عليه فيحين اجله . تلك خلة معهودة فيه . لكن
نزع السلاح . وتقليم الاظفار . لم يعهد فى الحيوان غير الانسان
خلق الله لكل امة رجال اشداء . عينتهم الفطرة الالهية لتدرا
الاعداء . وتدفع المهاجمين . جاء قوم آخرون فزعوه سلاحهم ،

أنزلوهم منزلة الحشرات والبقر ، لا بل النبات والشجر ، بل الجماد
والحجر ، فكل حيوان سلاحه ، ولكل نبات حافظ من شوك ،
أو طعم كريه ، أو لون قابض ، أو جمال جاذب يدعو الحى لحفظه
فمن أين جاءت هذه القضية للإنسان ؟ من أين اخترعها ؟ ومتى نزول
الحزى والعار ، والوصمة والسنار ؟ كان الإنسان كلما علا كعبه
فى المدينة استنزل بعد عز الفضيلة من مراتبه ، وأودع حفرا الغباوة
وشقاوة الشيطان الرجيم . الإنسان على هذا الفعل يضارع الشيطان .
أين الفلاسفة وآراؤهم وتعاليمهم ؟ فرحماك اللهم ان الناس غير واخلقك
أنهم فى ضلال مبين .

— ١٠ —

يوم ١٥ سبتمبر سنة ١٩٠٩

منظر الملاعب

عبرت الشاطئ الغربى ليلة ونظرت ملعبا هناك ملاصقا للقنطرة
وهو مزين جميل ، ذو معارج عليها يظهر اللاعبون فيها أنوار لامعة ،
وأضواء باهرة ، ومشارب مختلفات ، ومناظر ساحرات ، وملاعب
مفرحات ، شبان وشابات . يتساقون بقباقيب بها يزحفون ، اختلط
فيها الإفريقى بالمسلم . والشرقى الغربى . فنظرت ذات اليمين وذات
الشمال ، فراغنى منظرهم ، وساعنى خبرهم ، أى قومى ؟ أأنتم من

اللاعبين ؟ أأنتم من الجاهلين ؟ يلعب الافرنجى . وما لكم وللعب ،
للعب قوم زرعوا فحصدوا ، وهم الا آت يا كلون ما يخذنون ، أين
ما زرعتم أنتم ؟ وكيف يرتع ويلعب من يرى أنه أسير مقيد .
أتلعبون ولم تتالوا من الحياة الشريفة قسطا ، ومن العلم نصيبا ، إعملوا
على مكاشفكم إنا عاملون ، وانتظروا إنا منتظرون .

- ١١ -

يوم ١٦ سبتمبر سنة ١٩٠٩

برنية زجاج فى شارع عبد العزيز

رأيت برنية من الزجاج صفراء واسعا أسفلها ، ضيقا وسطها
متبعجة قليلا باستدارة من أعلاها ، هذه البرنية مملوءة ماء ، راقبتها
إذ هى تستقبل كل راكب وماش ، وكل عربة وقطار ، فترسمها فى
جوانبها رسما مصفرا ، يرى من أمامها صور تتحرك فيها ، مصفرة
اللون كلونها ، يجترى الانسان عن النظر الى الطريق وسالكه بالنظر
فيها هى مرآة الصور المتحركة فى السبيل ، تشكل كل ما مر عليها
بهيئته وتصغره على مقدار ما يناسبها الناس فى الطريق المستقيم ،
يسرون وهى ترسمهم فيها ، سائرين على خط منحن ليس بمستقيم .
أليس فى ذلك عبرة ان فى ذلك لذكرى ، إنها تغير اللون ، وهيئة
السير ، ومقدار الحجم ، تلونها بالصفرة ، وتسيرها بخط منحن ،
وتشكلها بالتصغير والاحجام فى أنفسها كبيرة بالوان مختلفة تسير على

خط مستقيم ، هكذا الناس في الحياة الدنيا ليس لهم حظ من العلم
الا مصغرا محرفا ، يعلمون ظاهرا من العلم وهم عن الحقائق غافلون ،
أبناء السبيل مثال المعلومات وعجائب الكون والبرنية مثال عقولنا
وخيالنا علومنا أمثلة وتقريب ، والمعلومات اجل واعظم ، وابهى
وابهر ، المعلوم يكون في العقل بحسب جوهره ، لاعلى مقتضى حقائقه
عقول الناس مختلفة لا يتفق منها اثنان . واشكال المعلومات فيها
تكون بحسبها تصغيرا وتكبيرا وتكوينا .

هكذا القائمون بأمور الامم الحاضرة ، إنما يعلمون ما شاهدوه
في مراتبهم وهم اعوانهم وخولهم ، وينتقش في صحائف عقولهم
على هذا المنوال

شاهدت الصور المتحركة تلك اليلة قفلت في نفسي : بم يفرح
الناس أبصور خيالية ، كبرها القنديل السحري ، ان الجانين والحشاشين
جميعا لهم القدح المعلي في ابتداع الصور في خيالهم ، الخيال قوة
هائلة عظيمة

- ١٢ -

يوم ١٧ سبتمبر سنة ١٩٠٩

يصدون عن السبيل

اللهم اليك أشكو ، رغبت في العلم والفضيلة ^{من} أيام شبابه
واعنتني

فلما أن جاء العمل وضع القائمون بالامر امامى عقبات ، اردت
ان اكون ليلي ونهارى عاملا للبلاد ، بل للانسانية العامة ، فقامت
طائفة من عبادك يصدونني عن السبيل ، ويحسبون انهم مهتدون ،
اللهم انى عاهدتك من ايام شبابه ، على ان اقدم حياتى كلها فى
خدمة امتى إذ أنت أريتني نورا ، وألهمتني حكمة ، ولقد تعلمت
حظا ، ونلت نصيبا من ذلك ، وها انا اريد العمل فمنعني عبادك ،
فأسألك اللهم تأييدا ونصرا مينا

- ١٣ -

يوم ١٨ سبتمبر سنة ١٩٠٩

سمعت الموسيقى

صدحت الموسيقى بالحديقة ونعماتها افرنجية ، فتاملت فى هذا
الانسان وكيف كانت النعمات مقسمة على سائر هذا العالم ، من اشجار
واعواد وحقول ، وطيور وحيوان ، لكل حى نعمة من نفسه اذا كان

حيوانا ، ومن غيره إذا كان شجرا او جمادا ، وكيف كثرت اعماله
 ثم احتاج الى ما يخفف عنه عبء العمل وأشجانه الاعمال ، فعمد
 الى المعادن فاذا بها وانطلق الى الاشجار فاقتطعها ، والى جلود الحيوان
 فسلخها وتعهد ذلك بالمراس والاصلاح ، ثم جعلها موسيقى تعنى
 بارادته ، واخذ يصنع لها القوانين ، فاعانته على الافراح ، واشجنته
 عند الاحزان ، واثارته فى الحرب ، وخففت عنه عبء الحزن ،
 واصلح ذات البين عند الشجار

أنا كنت اسمعها . وأصغى الى نعماتها . فتارة تصيب منى مواقع
 الوجدان . وتارة تخطيء . ولكنى اذا سمعت الموسيقى الوطنية .
 طربت لسمعها وفرحت . كان الرجل لا يصونه الا حكومته . ولا
 يدافع عنه الا جيشه . ولا يطر به الا موسيقاه . ولا يصيب مواضع
 الداء منه الا طبيبه . هكذا قرأت وفهمت من نعمات الموسيقى

- ١٤ -

يوم ١٩ سبتمبر سنة ١٩٠٩

دواؤك فيك وما تشعر . ودواؤك منك وما تبصر

كيف اخدم الوطن ؟

سألنى احد الشبان المدرسين ليلا قال : ما قولك فيما صنعه شباننا
 فى مؤتمر جنيفه . وهل عملهم نافع ؟ فاجبته :
 ان لكل عمل جوهر وعرضا . والعرض اسهل من الجوهر والقاسم

يحقق الامور أشد تعباً من القائمين باعراضها . وترى علماء الدين
اليوم لا يحضون الا على قمع النزاع بين الخصمين . والعبادات الظاهرة
وهي اسهل من الاعمال الباطنة وهي جوهر الدين من الامانة .
والقيام بالفضيلة وما أشبهها . وهكذا ترى الاطباء متى جاءهم
مريض عمدوا إلى الدواء وناولوه وهو اهون على المريض من الحمية .
وحفظ الصحة . وهكذا في الافراح تراهم لا يفتأون يجمعون مآراق
من زينة وزخرف . ثم هم لا يعيرون نفوس الزوجين من الاصلاح
ادنى التفاته . وهكذا تتحلّى العروس باهى زينة ولا يحلون نفسها
بأقل حلية ليدوم اصطحاب الزوجين . ويتحاب الاصحاب .
ويتزاورون بالسلام والكلام . ويتجملون بالرياش الظاهر وهم عن
صمء سرائرهم معرضون .

هذه الامثال ضربتها لك لتعلم أن اكل شئ من خلق . او عمل
جوهرها وعرضها . وعمل الجوهر اشق من طلاء العرض . واذا غنى
بالامرين فهو خير وأبقى . فاذا هش ظاهره للصديق وانبلج باطنك
بجبه . فقد قتت بأدب الحمية

هكذا الوطنية فجوهرها الاقتصاد . وترقية الصناعة والزراعة .
وحركة التعليم . وتعاون ارباب الفكر . والاموال على العمل والتزقي
وعرضه ان تسمع الامم بمقصده . وتقف على مواضع الداء والدواء .
فاذا جمع الناس بين الامرين فقد قاموا بما وجب . وان اقتصروا على
اشتقهما فقد قاموا بالحاجة او على اسهلها . فما اقل اجدهاء على البلاد فمسى
ان تكون حركتنا من اول الاقسام . فتكون اولى بالاجلال والاعظام

- ١٥ -

يوم ١٩ سبتمبر سنة ١٩٠٩

غنى صوفي

في كتاب التاريخ لابن الاثير، في الجزء الاخير، انه في سنة ٦٠٠ سمائة اجتمع جماعة من الصوفية في بغداد وفيهم صوفي اسمه احمد بن ابراهيم الداري ومعهم مغل غنى يقول :

اعاذلنى اقصرى كفى بمشيبى عدل

شباب كان لم يكن وشيب كان لم يزل

وحق لىالى الوصال وآخرها والاول

لئن عاد عيشى بكم حلا العيش لى واتصل

فطربوا وطرب الشيخ وتواجد وأغشى عليه فحركوه فاذا هو

ميميت اه



- ١٦ -

في تاريخه

الفيران في الظلماء

تذكرت انى ليلة دخلت دارنا بطولون وقد سمعت دينيا . وحركة

شديدة فعلمت انها مسابقة الفيران في الظلماء

الفيران تجرى في الظلماء وتعدو في مطالبيها ، فاجأتني عند

دخولى ، أنا عالم أن البيت ممتلىء فيرانا ، ان الحركة القوية تفزع من
يجهل امرها ، لولا علمى بها لظننتها حركة لصوص ، ولفزعت فزعا
شديدا ، أذهب عنى الفزع ما أعلمه من امرها ، الفيران تبيد بالهرر
تصيدها فتاكلها ، أو نصب الشراك لقتلها ، أو وضع السموم لازهاق
ارواحها ، أليس ذلك شأن الناس فى سياستهم ، حركة الفيران فى
الظلمة تذكرنا تهديد الامم القوية فى ازمان جهالة الامم الضعيفة ،
يرعدون ويرقون ، ويهددون ويقولون : أنتم ضعفاء جهلاء ،
ويحترقون من شأن علومهم ، وعلوم آبائهم ، ويطمسون آثارهم ،
فيخفى الامر عليهم ، ولو انهم أطلقوا أنوار العلم على ظلمات الجهل
لادركوا ان ذلك اضلال ، ووبال وخيال ، لو علموا لم يخافوا ، فاذا
استبان السبيل ، وتجلت الحقائق العلمية ، اخذوا فى الاسباب
فابادوا الظالمين ، واجلوهم بعساكرهم ، وأساطيلهم وجيوشهم ، كما
تسلط الهرر على الفيران ، أو يحتالوا لبيدهم بنصب فخاخ العذاب ،
وأشراك القهر فيجلوهم عن بلادهم اجمعين . هذا ما فهمته من حركة
الفيران فى الظلماء

١٧ -

يوم ٢٠ سبتمبر سنة ١٩٠٩

مدينة الفيوم

كنت في مدينة الفيوم فرأيت سواقى بدبعة ، جميلة بهية ، من
 اغرب ما أحدث الدهر ، وابدع ما سمعنا به ، ماء الانهار تسوقها
 فتحمله الى الاحواض على وجه البسيطة فيسقى المزارع ليلا ونهارا ،
 ولا بخار ولا كهرباء ، ولا دواب تديرها ، الماء يديره بقوة حركته
 الماء يجري من اعلى الى اسفل فتصادمه أربع سوانى تسمى العلب
 ذات مجاديف ، يسميها العامة (توابيت) ولها عيون تصب الماء
 وعليها عوارض عريضة من الخشب ، يصادمها الماء في جربه فيرفعها
 الى أعلى ، هذه الدائرات تسعى ليلا ونهارا ، تجري بلا انقطاع ،
 الماء يديرها ، والماء لا يمل ، أشبهت الكواكب في سيرها لا تقف لحظة
 كنت انا في فندق يقرب منها ، أسمع صريرها وغناءها كل آن ،
 فكان ذلك يعجبني ، ألا اذكر لك عجبا من امرى ، ألا تسمع عجائب
 الفكر وتلوه ، ألا احدثك بحديثي فانه عجب ، كنت وانا مجاور
 بالجامع الازهر أنطلق الى الريف ايام العطلة .

وينا كنت جالسا ليلة وساقية هناك كنا نديرها تشبه مارأيتها في
 الفيوم ، تدور بالدواب فكانت تمثل امامى دور الكوكب في السماء

اننى كنت فى شغل بعلوم الأزهر ، وفى هيام بالعجائب الفلكية ، وما
كنت اذ ذاك لاجد من يوقنى على شىء منها فكنت مولعا بغرائب
الفلك ، اما فى هذه فانى تمثلت لى تلك المناظر بهيئة الامم ، فالبحر الامة
الطاغية ، والناعورة الدائرة الامة المهضومة الذكية الرشيدة ، فاذا اقتنصتها
الامم القوية ، واناخت عليها بكلكلها وقهرتها بظلمها ، سارت
عكس ما تريد ، واغترفت من بحار علومها ، ودارت على قطبها ،
وسقت عقول ابنائها ماء العلم الذى اغترفته من بحار الامة الظالمة ،
لاعجب اذا شبهنا الامم الظالمة بالبحر ، فالماء حياة كل شىء ، وقد
يخرب الدور ، ويهدم القصور ، ويفرق الانسان ، ويبيد الحيوان ،
وبه الطوفان ، فالماء يحيى ، والماء يميت

هكذا الامم القوية يحيى أبناءها ، وتميت بسيلها الجارف ابناء
غيرها ، اذا كانوا ذوى قوة وشمم اخذوا من ظلمهم قوة ، ومن علمهم
حكمة ، ومن اساءتهم احسانا لانفسهم . هكذا قرأت فى النواعير
الدائرات وهى تغنى ، أفليس من الغريب ان تختلف العبرة ، وتباين
الفكرة بين نظرى الاول والاخير ، فارى فى السابق كأن الفلك
يتمثل بنجومه اللامعات فى انصباب الماء ، وفى الاخير سياسة
الامة المظلومة العاقلة مع الظالمة . وهذا مثال جميل ، ألا نرى ان
الخشب يحملها الماء بلا علاقة تثبتها . ولا قانون يضبطها . يسير بها
الماء . وتلاطم بها امواجه . ويجرى بها جريا حثيثا حتى ينزل بها
فى الاماكن القاصية . والحال المتباعدة . فتستقر فى قعور البحار
والاقيوناسات الكبيرة . هكذا الامم التى لا عقول لها تديرها . ولا

شهادة تحفظها . تدفعها الظلمة الى سجن العذاب . وتدهورها في
دركات الذلة والهوان . هكذا ما كان . وهكذا ما سيكون . ولما
نمت تلك الليلة وانبلج نور الصباح ، وانفلق عمود الفجر ، وسطع
نوره ، وأشرقت بهجته على ذلك النهر الجارى وراء الفندق سمعت
نعمات شجية . مطربة غريبة من طائر يتغنى على تلك العصور
البديعة في اشجار ذلك النهر . نعم عجيب ! كيف اصف ما خامر القلب
من الطرب . وما احدث من الاثر الغريب . فالصوت رنة تروق
في افانين الشجر . تحفها نعمات خفيف الاوراق . وتلاعب الامواج
على سطح الماء تؤدي نعمات خاصة تزدوج مع تلك الاغاني الشجية
وترى أنوار الامعات ، تتجلى على سطح الماء . وكأنها تغوص في
ثناياه ، منبعثة من انوار القناديل المشرقات على الشاطئ . تستمد نورها
من نار الكهرباء السارية في الاجسام الممدنية . وكان ذلك المنظر له
اثر عجيب ، ولا سيما وقد استيقظت من منامي ، وتلك حال يقوى
فيها الوجدان والتأثر . وبينما انا على هذه الحال إذ سمعت من الجانب
الآخر من الفندق صوت حمامة تنوح على ولدها المفقود . او حبيبها
المنشود . صوت مؤلم قابض وهي في قفص من حديد . تردد شجاها .
وتفنن في اساليب الاشجان . في اناشيد الاحزان . فاخذت
اقارن ما بين الحرية والاستبداد . والذلة والعزة . طائران يتفننان
هذا يبيع نائرات الوجدان . ويشرح معنى الجمال . ويذهب
بالاشجان . وذلك يألم ويحزن ويشكو من الظلم والجور . محبوس في
قفصه . بعيد عن ولده . خلى من نفسه . لا يرد الانهار . ولا يتمتع

بفصور خضر في ثنايا الاشجار ، يتخللها النسيم ، وهي تعلو وتسفل ،
نعيم وای نعيم ، سعد به الطائر المفرد ، شقاء وأی شقاء ، حبس فيه
الحمام المقصوص الجناح .

هكذا الامم الحرة ، فرحة بعزها ، ساجدة في قصورها ، ناعمة
في ظل وارف وعز شامخ ، تنتقل من ارض الى ارض ، ومن غصن
الى غصن ، تشرب ماء صافيا ، وتسجع بالالخان ، وتسر الوهان ،
فاما من حبسوا في قفص الظلم وسيموا الخسف فاولئك في سجن وای
سجن ، شرابهم ماء كدر ، وطعامهم كل فضلة وقذر ، أجنحتهم
مقصوفة ، وأبنائهم مذبوحة ، وألقهم مفقود ، وعيشهم منكود ،
والافراد كالامم ، ومن الناس من حبس نفسه في مضيق الطمع
والحسد ، والبخل او الملق ، فعاش عيشة الطائر في القفص ، فاما
الحكماء ، واكابر العلماء ، فانما اتخذوا من سجن الدنيا اشجارا
وانهارا ، وجنات واعنابا ، ورضوا بما أوتوا فلم يمنعمهم الفقر عن
السعادات ، ولم يحجزهم المرض في حجرات الشقاء ، فاطلقوا نفوسهم
من حجير الطبيعة ، وتمتعوا باسعاد انفسهم ، واطلقوا العقال لعقولهم ،
فنجوا من خبائث النفس ، وصبروا وكظموا الغيظ ، وسعدت
نفوسهم ، وانشرحت صدورهم ، بالنظر في جمال العالم ، وبهجة
الحكمة ، فاضحت عقولهم تغدو وتروح في رياض الارض ،
وبساتين السماء ، فابهجها اشراق الشمس ، وبهجة القمر ، ونظام
الكواكب ، ومر الرياح ، وجري الانهار ، وتغريد الاطيار ، وبدائع
الاشجار ، وفرحوا بما أوتوا من العلم ، وحق القول على الذين

- ١٨ -

يوم ٢١ سبتمبر سنة ١٩٠٩

احدى الاعاجيب

تناولت طعام الافطار في رمضان عند أحد الاصدقاء وكان معنا على المائدة شاب افغانى ، قرأ الانجليزية وغيرها ، فلما تجاذبنا اطراف الاحاديث كاشفته بامر الاسلام في سائر البلاد ، لاسيما في الهند وانهم ينهون عن العلوم ، وينأون عنها فلو انهم قرأوا الدين ممزوجا بالعلم لتسارعوا اليها ، ولهاموا بها هيأهم بالدين ، انى آسف عليهم فهم متعصبون على العلوم ، افلا ندخل على قلوبهم من طريق الدين ؟ فقال : سأسارع جهدى لترجمة كتبكم الى اللغة الانجليزية ، ومنها ينتشر في سائر الاقطار ،

بينما نحن في هذا الحديث اذ طارق هندي طرق الباب فسلم فدخل وهو شاب في الحادية والعشرين ، متقد ذكاء وحمية ، فلما أن استقر به الجلوس ، قال : انى اتيت من بلاد الهند مرسل اليك (يريد صاحب البيت) وتعارف بمن بالمجلس فلما ان سمع اسمى اظهر سرورا وبهجة وقال : انه استاذى وانى أقرأ كتبه ، وجميع اخوانى طلاب مدرسة على كره ، وان لك كتابين مترجمين التاج المرصع والنظام والاسلام (فيما اظن) وان

شيخا هناك يدرس لهم كتابك نظام العالم والامم ، فصادف ذلك في قلبي مواقع الوجدان ، وطربت لخبيره ، وهناك ايقنت ان سر هذا الامر كاد يتم ، فلقد شعر قلبي بذلك من مبدأ التأليف ، اى من نحو عشر سنين ، وهذا بعض ما كنت ارقبه وهذا من عجيب الاتفاق

- ١٩ -

يوم ٢٢ سبتمبر سنة ١٩٠٩

• النعجة والغزالة •

تقابلت النعجة والغزالة يوما في الصحراء فقالت الاولى : مالى ارى خصرك نحىلا ، وزادك قليلا ، تبعدين فى القلاة ، وترتعين فى الصحراء ، وتسرحين فى العراء ، لاقائد لك ، ولا سائق ، ولا مطعم ولا ساقى ، انى لاكثر منك شحما ، واوفر منك لحما ، واعز نفرا ، زادى حاضر ، وشرابى صاف ، يقودنا راعينا الى الكلاء ، ويحمينا من التهلكة ، ويدود عنا بكلايه ورجاله ، لا تأكلنا الذئاب العاوية ولا تعدو علينا الوحوش الضارية ، اما انت فانك طلبة السباع ، وقوت الذئاب والوحوش ، فانت فى عذاب وجحيم ، ونحن فى جنة ونعيم ، قالت الغزالة :

- لقد أبنت عن جهلك بلسانك ، وقلت قولاً أدخلك فى غمار

الضالين ، انك ما سمعت الا ليا أكلوا لحك ، ويأتدوا بشحمك ،
 غفلت عن العاقبة فكثرت فيك اللحم والشحم ، هكذا الاغنياء الغافلون
 والاغنياء المترفون ، يظنون ان المال كل السعادة وان الفضيلة في
 استحلاء مرعاهم ، ألا ساء ما يفهمون ، فاذا نحل خصرى ، ورق
 عظمى ، فذلك لاني اكثر التفكير والتبصر ، واحمى ذمارى بنفسى ،
 وأذود الشر عنى بعدوى في البادية ، واتناول قوتى بقمى مما ذراه الله
 لا أعبد إلا إياه ، مخلصه له الدين ، ولو كره الجاهلون ، أظننت أن من
 رعاك يهواك ، إنما يسمنك لبطنه ، ويربى ولدك لضيغه ، يستخرج
 لبنك لقوته ، ويحرم ولدك من ارتضاعه ، فليس الراعى لك بوالد
 انه يحملك لبلائك ، ويكلوك ليختص بأكلك ، لا يرضى له شريكاً
 فيكنّ ايها الجاهلات الاسرته وابنه وزوجته ، فأفقي من
 غفلتك ، وأيقنى بجهالتك ، واعلمى ان راعيك صرف همتك عن الله
 اليه ، ووجه قلبك اليه وجعل اعتمادك عليه ، فصار حجاً بينك وبين
 الله ، فانت على المخلوق تتوكلين ، واليه تجارين ، فيقودك الى
 ما يهوى ، ويرعاك فيما يرضى ، ويوردك الموارد ، ويحميك من
 المهالك ، فصررت له فريسة وحلاً ، فلا يراعى فيك ذمة ولا إلا ، أما
 انا فبنت الحرية ، وسليمة الامم القوية . وأما انت فابنة الدولة المتهورة .
 ونسل العبيد الاذلاء . سلبت العقول فامدت بها عقول الرعاة .
 وحرمت المال والجاه . هكذا كل امة أذلها الطامعون . يطعمونها
 لياكلوها . ويدودون عنها بالسلاح لينهبوها . ويحرموا عليها حمل
 السلاح ليجبنوها . ويحوطونها بجيشهم ليرغموها . ان الملوك إذا

دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا اعزة أهلها اذلة وكذلك يفعلون

٢٠

حكاية

حكى ان النحل ذات يوم تأمر على قتل طائفة الذكور منه في خليته فاستعد المتآمرون للمهاجمة . وقاموا للمواثبة . حتى أفنوا جماعة الذكور فقام منهم خطيب ودعا عليهم بالثبور . وأنذرهم وحذرهم . وقال لقد قتلتم نفوساً بريئة . واخوانا صادقين . واخذانا صالحين . أما علمتم ايها الظالمون ان قتل البريء ظلم . لاسيما من كان من الارحام . فاقهوا الله الذى تساءلون به والارحام

فقام رئيس الجند وقال : ماذا تنكر علينا . وماذا تبتغى منا . هؤلاء اخواننا ولكنهم عاطلون خائنون . يا كلون العسل ولا يعملون ويدخلون الزناير علينا فيشركونهم معهم فى اكل ما جمعنا . وحصد مازرعنا . أما كفاهم انهم عالة علينا . يا كلون ولا يعملون . حتى خانوا فاطعموا معهم الزناير ونحن نقاسى اتعاب الحر والقر . والحرور والزمهرير . نطوف على الاشجار . ونشتار عسل الازهار . ونبنى مساكن البنين . واقراص الشمع . فنضع النسل فى اماكنه . والعسل فى بيوته وهم لا يعلمون بل ظنوا انفسهم سادة ونحن عبيد . لا يتخذون منا وزيراً . ولا اميراً . واذا قيل لهم ما هؤلاء قالوا عبيدنا . ثم يسلقوننا

بالسنة حداد ، ويقولون ما هؤلاء الا عبيد بربريون ، وخدم
 مقهورون ، هكذا كنا نسمعهم يقولون في حضرة الزناير الهاجمة ،
 فكم أعزوهم بنا ، وقالوا انهم فلاحون مهيئون ، وعبيد مسخرون
 هؤلاء لنا غايطون ، وانا لجميعا حاذرون ، فاهلكناهم انهم كانوا
 ظالمين ، وقتلناهم ودمرناهم بما كانوا يصنعون ، ألا ساء ما كانوا
 يفعلون ، أبلغ بنا ان نذل لهم كاذله النفوس من بنى الانسان ، لمن
 كانوا ظالمين ، ياكلون ما يجمعون ويسيثون اليهم وهم محسنون ، فاذا
 ملؤوا بطونهم وبنوا قصورهم وحلوا بذهبهم ابناءهم وبناتهم ، طافوا
 في انحاء البلاد ، يسلقونهم بالسنة حداد ، ويقولون انهم عبيد الاءاء
 والاجداد ، ولا زلنا تفعل هكذا كل سنة في فصل الربيع فتمير
 اهلنا ونحفظ اخوتنا ، ونزداد عسلنا وتقتل اعداءنا ، وان كانوا من
 اخواتنا ، ان الله لا يهدي كيد الخائنين .

- ٢١ -

(ما تجمع به القوة الشهوية تفرقه القوة القضيية)

في هذا اليوم سنحت لى سانحة اثناء تعبي ، وهى ما جمعتها القوة
 الشهوية البهيمية فرقتها وبعثته القوة القضيية السبعية ذلك ان الناس
 يشتهون الذرية بالقوة التناسلية ، ويتزوجون ويولون الولائم

ويذبحون الذبائح ، فرحين بالاحفاد ، والبنين والبنات ولا جرم
 ان هذه قوة شهوية بهيمية ، فاذا ما غضبت امة على امة
 واذنتها بالحرب ، واعلنت عليها القتال اخذت المدافع تقصف
 والقنابل تحصد ، والرماح تميم ، والسيوف تبيد ، أفليس ذلك من
 شأن القوة القضيية ، او ليس ما جمعته القوة الشهوية البهيمية بفرحها
 قرقته القوة القضيية بظلمها وقسوتها ، او ليست هذه الاخيرة من
 القوى التي سخرت لعزرائيل ، والاولى الشهوية من القوى المسخرة
 لاسرافيل ، الله اكبر ، ان القوة الالهية الكلية شاملة كل قوة علمية
 وعملية ألا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين .

- ٢٢ -

يوم ٨ اكتوبر سنة ١٩٠٩

كنت في حلوان منذ ليلتين ، وأشرفت من النافذة القرية بحجرة
 بعد الفراغ من الافطار في رمضان ، وشاهدت نظام مدينة حلوان ،
 والليل مخيم على مساكنها ، واضواء المصابيح متقدة لامعة ، تنفذ
 انشعائها في جوف ذلك الظلام السحيق ، والسماء من فوقها مكحلة بزهر
 النجوم المتوهجة المتلألئة ، فامحت منها خطى درارى يتلألآن
 ويتهيجان وكانهما في حركة المرتعش ، نجومهما من ذوات اقدار والوان ،
 مختلفة منها الحمراء والبيضاء ، وقد رسما زاوية سطحها الزرقة ،

وتحيط بها اكناف السماء ، ذات اللائلاء والهجة ، هنالك اجتذبت
تلك المناظر كامنات الافكار ، وهاجت الادكار ، فطنقت اذ كر ايام
الحياة وماذا قدمت للموت ، واخذت اجيل الفكر فيما حققت
من وصف العوالم المشاهدة ، وماذا قدمت من العمل



- ٢٣ -

(الحكمة عند الاطفال)

امر طفل ان يصافحني ، فحول وجهه وبكى ، فاخذوا ويلاطفونه
وكانهم ظنوا هذه الخصلة تنافي الادب في الاطفال ، فقلت لهم هذه
حكمة رائقة ، أرايتم أن جاء رجل لا تعرفونه فاجتم بسراركم والقيتم
بانفسكم بين يديه ، أفيحسن ذلك أم أتم مخطئون ، فقالوا بل مخطئون
فقلت ألا هكذا فلتفهموا ما فعل هذا الطفل ، لقد اودع في نفسه ألا
يثق بمجهول ، وألا يعول إلا على التجربة ، وألا يقلد في فهم حقائق
الاصدقاء والاعداء ، فما دام الناس مجهولين لديه ، فالفضية واحدة
يجتنبهم ويتزكهم ويتباعد عنهم ، وهذه عبرة ، فلنسيج على منوال
ما أبرزه لنا الاطفال من الحكمة ، ولقد تبدت في ثوبها القشيب
في حكايات الحكماء الهنديين الذين قالوا (في كتاب كليله ودمنة)
ان رغوثا ضاف قملة في فراش رب البيت ، فوثب البرغوث قامتمص
جرعات من جلده ، فاستيقظ وهب يبحث عن الجاني الاثيم ، فقرر

البرغوث ووقعت القملة في شر عمله ، فنجنا المذنب وهلك البريء ،
وهذا بما قصرت القملة اذ اضافت مالا علم لها بحاله . أفليس خطأ
الناس وجهلهم بما سنه الله في العالم وما اجراه على طبائع الاطفال من
الحكمة ، حدا بالعلماء الى كشف الغطاء عنها بضرب الامثال
والاحتيال بالتصوير والحكايات عن الحشرات وصغار الحيوان .

- ٢٤ -

١٢ اكتوبر سنة ١٩٠٩

(لا تذكر عمالك بالاعجاب)

ما أقبح أن يذكر المرء تأليفه وكتبه ، وذكاء ابنه وقوة نفسه
فليجزم المرء لسانه وليحفظ حديثه عن الخوض فيما فيه مدح لنفسه ،
أولاً له به علاقة ، إنما العجب أن يعلم الانسان مذمة مثل هذا ،
ثم ينساه أو يتناساه بحكم التقليد أو العقلة .

- في تاريخه -

(تفسير آية)

قال قائل امس إن أبا حنيفة رضى الله عنه يامر بقراءة القرآن
واعتقه في الصلاة ، ولكن أهل العلم يقولون لا يعرف القرآن الا بالعلوم
الالية كالنحو والصرف والمعاني الخ ، فاذا نصنع ، فقلت لكل
وجهة هو مولياها ، ولتعلم أن الامر فيه تفصيل وانى أذكر لك ما

سمعتة عن أحد الفضلاء في صلاته كان يقرأ (يا بني آدم قد أنزلنا
عليكم لباسا يوارى سوءاتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير ذلك من
آيات الله لعلمهم يذكرون) قرأها في صلاته في جوف الليل وأخذ
يكررها مراراً ، ثم فكر كيف أنزل الله علينا لباساً الا انما اللباس
خيطة بيد الخائط ، منسوج بيد الناسج مغزول بيد الغازل ، محلولج
بالحلج مجنى من أشجار القطن في الحقول ، وهي زرعت وسقيت
والبزر كان موضوعا في الارض ، فسقى بالماء والماء مسوق بيد
الهواء ، المتحرك بحرارة الشمس وغيرها ، والشمس حركها الله الذي
وضعها ووضع جميع ذلك ، هكذا فكر المصلي فارجع الانزال الى ذلك
المعنى العجيب وقوله وريشا الثياب المتجمل بها الغنى ولباس التقوى
ذلك خير من اللباس المنسوج ، ثم قال ذلك من آيات الله لعلمهم
يذكرون) فسر الحاضرون سرورا عظيما

مسألة أخرى

الشهوات تمنع من رقي الامم

قيل لي ان الوطنيين ليست عندهم عزيمة للعمل ، فقلت قل
ان كان أبائكم وأبناءكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال
اقتفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب
اليكم من الله ورسوله ، وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بامر
ان الله لا يهدي القوم الفاسقين) الناس انما ينهكون في اعمالهم
لا بائهم واصلاح ذريتهم واخوانهم ، وارضاء أزواجهم وأقاربهم

وتنمية اموالهم و ربح تجارتهم وتشديد منازلهم ، فاذا كانت هذه أحب
الى الناس من المصلحة العامة فان الله أنذرهم بعذاب الاختلاف
وضياع الامة جزاء وفاقا ، فانهم لما اغرموا بالامور الخاصة ونبذوا
الحال الاجتماعية أسرع اليهم العطب ودخلوا فى حوزة امم أخرى
وظلوا مع الهالكين

- ٢٥ -

يوم ١٣ اكتوبر سنة ١٩٠٩

(الشاعر الموسيقى)

تذكرت أنى مررت على الشاعر الذى يحمل الربابة ويتغنى بها
والقوم يستمعون له وهم به فرحون ، وله مصغون ، فقلت إن هؤلاء
القوم مصغون له اكثر من اصغاء التلاميذ لاساتذتهم فى المدارس ،
وهم بحضرته أجمل أدبا وأرق شعوراً ، واوفر حبا من التلاميذ
لاساتذتهم وأغزر فهما ، أفليس من العجيب ان يتأدب الجاهلون
ويستمع الغافلون ، ويتصف بالشغف بالعلم الجاهلون ، ان فى هذا
لبلاغا للمدرسين ، إن هذا الشاعر المدرس لطبقة العمال يرقق شعورهم
ويلطف وجدانهم ، لما يسمعون من نعمات الموسيقى ، وزينتها
وبهجتها ، ان الموسيقى ترفع النفوس الى أعلى مكاتها ، فيا حسرة على
بلادنا جهلت فيها طرق التعليم ، وحق القول على اكثرنا افليس
من العجيب ان يحسن فن التدريس شاعر جاهل فى نظرنا ويحرم

منها كثير ، ان هذه الطريقة الجميلة ورثها هذا الشاعر ذو
 الربابة عن اسلاف ورثوها عن امم منقرضة سحيقة مجهولة كانت
 تدرس في مدارسها ، ومع كل مدرسة موسيقى تصدح اذامل التلاميذ
 ما يسمعون ، وتثير النشاط وتحيي القلوب اذا هم يكسلون ، انقرضت
 تلك الامم وحفظها اولئك العامة ، وكاننا ادمعتم مخازن تلك البذور
 بذور اقرب طريق للتعليم حتى اذا قيض الله للبلاد مدينة احسن انبتت
 هذه البذور نباتا حسنا في ارواح المعلمين وعقول المدرسين

قال لي الاستاذ ادوارد برون الانجليزى ان عندكم لـكنزاً
 غنيا ، انكم عنه ضالون ياليت في بلادنا شعراء يهذبون العامة
 كشعرائكم وياحسرة على أهل بلادنا الانجليز ، اولئك لا يرجعون من
 حقولهم وصناعاتهم الا الى الخانات والخمور اولئك في ضلال مبين ،
 لا يأتون الصلاة الا وهم كسالى ، ولا أدب لديهم ولا تهذيب
 فنهينا لكم بما ورثتم عن آبائكم الاولين

ألا ان للموسيقى أثراً كبيراً في تهذيب النفوس ، ولقد علمت
 من بعد ذلك ان مدرسى مدارس الجزويت والفرير يصطحبون معهم
 آلة الطرب في الدراسة ويطربون التلاميذ بالالخان ، وتارة ينشدون
 الاشعار على الآلات فتمزج الاغاني بالعقول والارواح ، ان في ذلك
 لعبرة وذكري لمن يعقلون

- ٢٦ -

(الميراث)

مسألتان الاولى

نرث من النبات حبه ولا يمكث أكثر من سنة غالبا ومن
الشجر جذوله ، انها كثيرا ما بقيت أمدا طويلا عشرات السنين
ونرث من الحيوان جلده وعظمه ، وقد تتناول أيامه ويمكث
عشرات السنين أيضا اما الانسان فقد اختلف ميراثه على حسب همته
في حياته فمنهم من لا يورث الا متاعا وفراشا لا فرق بينه
وبين النبات والحيوان ، لن يبقى أثره الا اياما أو اعواما ، مر على
الارض مرور النسيم وكتب على قبره (انه مات في الهالكين
ولا عمل له في الباقين) ومنهم من تتجلى آثاره بعد موته وترسل
نفسه العلية اشعة من قبره تضيء على الناس اجيالا ودهورا نعم ذلك
هو الانسان الذي تحققت انسانيته وبعدت همته وهو وارث
المرسلين انا معاشر الانبياء لانورث ما تركناه صدقة ان من
الوارثين من لا يهمه الا ما متع البصر وأشبع البطن وكسى الجسد
اولئك هم الابناء ابناء النسب وإن منهم لقريقا يستحبون ميراث
الحكمة وتراث العلم اولئك هم أبناء التعليم ، الا انما ميراث الاولين

متاع وميراث الآخرين نحر الابد وشرف البلد وذكر في الآخرين
وبهجة وثواب يوم الدين

اذا مرض ذئب أكلته الذئاب ، واذا مات الانسان استبدل
الاطباء أكل جثته بقراءة الحكمة العلمية في تشريحه ، ودرس
نظام عظامه وعضلاته وتشعب عروقه وحكم دماغه وكشفوا
عن طبقات العين وتلافيق الدماغ وفقرات الظهر وأعضاء الصدر
ثم اودعوه في العقول ورسموه في الصحف وجعلوه نورا يهتدون
به في ظلمات العلاج وغياهب الامراض اوائك حقاً هم الوارثون
والنتيجة أن خير المورثين من أورث الناس أثراً خالداً وخير
الوارثين من انبعثت همته الى أفضل الامرين لقرن همة الرجل
بشغفه ببقاء اثره في الغابرين والتنقيب على حكمة الماضين الا
فلتكن اكرام المورثين وأفضل الوارثين

المسألة الثانية

(صبية في المهد)

صبية في المهد أفضل من العظيم في الامم المقهورة - رأيت صبية
تتناول الطعام مع أبويها سنهما سنتان ونصف طلبت من أبيها أن
يناولها شيئاً من الفاكهة فاسرعت امها اليها فناولتها ، الصبية
أبت وبكت ، الا أن الصبية تعلم انها من نوع الانسان ، تعلم انها
من نوع تعالى عن الحيوانية وترقى الى عالم أعلى ، ان الفتاة تاتي ان
تقع بعيشة الحيوان ، تاتي ان تاخذ الفاكهة من امها وقد أمكنها

أن تشرف بمناولة ايها لها ، شرفت نفس الفتاة بفطرتها
 فطلبت أعلى الامرين الكرامة والغذاء ، ان الحمار لا يأبى أن يأكل
 العلف اذا قدمه الخادم ، والحصان وهو ازكى من كثير من الحيوان
 لا يأف أن يأكل ما قدمه له سائسه ولا يفكر في اطعام سيده ،
 ويقال ان القيل لا يأكل الا اذا مسح واكرم فقربت فطرتة من
 الانسان ، النفس العظيمة تآبى الدنيا والنفس الدنيئة يكفيها سد
 الشهوة البهيمية والسبعية ، في بلادنا كثير ممن يقدررون على اسعاد
 امتهم وتقوية الرابطة بينهم وهم يتملقون ويخضعون وما علموا ان
 شرف الرجال باعمالهم الحقه وأفعالهم الحية ، اولئك هم الصادقون ،
 يقبل مدير و السياسة في الامم الضعيفة التي غلبها الغاصبون ويرضون
 ان يكونوا الآن جناء ، أليسوا في نظر الحكمة مساوين للحيوان ،
 ذرهم يأكلوا ويتمعوا ويلهم الأمل فسوف يعلمون ، وياكلون
 كما تأكل الانعام والنار مثوى لهم ، الدواب عملت ما خلقت له
 فليس عليها أذن تكليف والانسان بفطرتة مائل للرقى قابل للشرف
 محب للعلو بطبعه له وجدان وعقل تنزلا من سبجات الكمال ومناط
 الربوبية والعالم الاعلى ، فاذا تنزل عن سعادته فقد جنى جناية الظالمين
 وكفر بنعمة الله واذاق نفسه العذاب المهين وما ظلمناهم ولكن كانوا
 انفسهم يظلمون ، اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون

- ٢٧ -

يوم ١٦ اكتوبر سنة ١٩٠٩

مررت بشارع الصليبه سائراً الى ميدان السيدة زينب فرأيت
عربة تجرها حجر (فرس) يتبعها ولدها ، سائق العربة يضرب الفرس
ويهينها بقارص القول وشنيع الشتم يذللها في الطريق ، إن السائق لظلم
كفار ، ان ولدها يتبعها في خطواتها السائق يظلم الفرس ، ويذل
ابنها لقبول الظلم فاذا امرها بالمسير واذا وضع اللجام في فمها واذا سبها
واذا ضربها بلا ذنب يسمع من ابنها ومرأى من فلوها سرت الذلة
من الام له وتطبع على الالهانة ورضى في صباه بالذلة ورضخ للهوان
من يهن يسهل الهوان عليه

هذا الفلو الصغير من فصيلة الخيل السريعة السير ورث الذلة
عن أبويه العائشين في المدن ، انه لمن أصل كريم ، لو انه القي
عليه درس الحرية أيما لرجع الى فطرته الاولى ، هاك خيل
الاسبانيين اذنت طائفة منها في حرب امريكا وجرت في سهولها
وسارت في صحاريها فتوالدت وتكاثرت وتأبدت وتوحشت واضحت
اليوم تعد بالآلاف الالوف ، انها كانت اسيرة في ايدي الاسبان فاضحت
اليوم ترتع وتلعب في حريتها وسعادتها ، ان فرسنا الجارة للعربة
ارضعت ابنها لبن الذلة وجرى معها ينمو في الهوان ، هكذا يورث

الامهات أبناءهن أصول المذلة ويرضعنهم عناصر الخضوع
والرضوخ ، الا انما العربية في مثالنا الامة المظلومة والحجر رجالها
والقلو أبناءؤها والسائق الامة الظالمة وكلمات السائس دروس
التعليم في المدارس ، يقولون لهم انكم قوم جاهلون وامتكم أحط
الامم ولا فضيلة لآبائكم ونحن نطمعكم ونسقيكم واتم من الامم
الذين لا يعقلون

لعمري فعل الانسان بالانسان ما فعله بالحيوان ، ان الانسان
لظلم كفار ، الا انبئكم بدواء ذلك الداء ، الا انما الدواء ان تلقى
على الابناء دروس الحرية وليعلموا ان ما تنقوه من المثالب والنقائص
افك وزور فلتفعل الامة ما فعلت خيل الاسبان

خلق الانسان حرا وكفى في ان يرجع لحيثه أن يتلقى
دروسها في بضع سنين ، الا ليقل المدرسون للشبان انكم من خيرة
الامم وانتم افضل العالمين ، وليكن هذا ديدنى بعد اليوم فلا اخضع
لالايام ولا اذل للحوادث وساتخذ المصائب نبراسا للهدى ولا اشتق
من النار نورا ومن الضعف قوة ومن ظلمات الظلم فجرا ونورا ، الا
ان البلاد في ظلام حالك الا انما عقول العقلاء كواكبها المشرقة
وبدورها المتألقة وفجرها الساطع ، فاذا اكفهر جو البلاد بسحائب
الظلم فلتبدد شمس العقول تلك السحب ، واذا عسعس ليل الجور
فليتنفس صباح الحكمة في نفوس الابناء فان آية النهار تنسخ آية
الليل وسيكون شعارى (كنتم خير أمة أخرجت للناس)

- ٢٨ -

﴿ سائحة في النفس ﴾

ان في النفس الانسانية لسرا ان فيها لجمالا باهرا ، ان فيها لخبيا
للجمال وبهجة بالصور البديعة الا انه ليعم سائر الناس ولبعض النفوس
اشراق خاص وحبور ولذة يحفلها سواهم وجمال يتجلى على العالم
من حيث نظامه وبهجته ، وقد يغشاهم سرورهم بتجليات ومعان
رائقة حرم منها الاكثرون وليس يعلم عامة الناس من الجمال الا
ظواهره ولا من الصور البديعة الا ما علمه الحيوان ، ونفوس الاحرار
قبور الاسرار



- ٢٩ -

يوم ١٧ اكتوبر سنة ١٩٠٩

(اخلاق الصوفية في الغرب)

في كتاب اميل القرن التاسع عشر او التربية الاستقلالية قرأت
ان في بعض مدارس انجلترا يخدم صغار التلاميذ كبارهم من اى
طبقة ولقد يسوم الخدمون الخادمين سوء العذاب ويرهقونهم بما لا
يطيقون ويؤذونهم وانما يكون فيما بعد هؤلاء الخدمون خادمين

لمن خدموهم لما اوتوا من ثروة وما نالوا من ثرات وهذه فائدة جليلة
 للامم التي تتربى على هذا المنوال ليرى الاغنياء شرف الاعمال الصغيرة
 ولا يحتقرون القائمين بها فيكون بينهم وبين اولئك الفقراء صلة ولا
 يستكبرون عليهم وان هذه تبعث نشاطا في حركة الشاب وقوة في
 جسمه وتطرد عنه حب الكسل ، فيصبح بعد رجلا خادما لا مته
 في علو درجته ، هذا معنى ما فيها ، هذه معان عالية وجميلة ، ان
 امثال هذا في كلام الاوائل مدون كتبه الغزالي في الاحياء قد يربى
 الصوفية تلاميذهم على هذا النمط ، يعلمونهم الكرم يامرونهم أن يتخلوا
 عن ملك بعض ما يحبون ، وبالاقتال من مكان ألقوه الى مالا يلقونه
 فاذا رأوا التلميذ مغرما بحب نفسه مهتما بجسمه كأنه عروس أنزلوه
 في قاعة الطبخ ليصلح الطعام لاخوانه ويقدم النعال للابسين والطعام
 للاكلين والماء للشاربين حتى يتسم بالتواضع وحسن الخلق وينزل مع
 الناس ، إن أسلافنا برعوا في هذا المعنى وتوسعوا الى الله الشكوى
 من جهل قاضح بعلوم أسلافنا ملأوا الدنيا صراخا والارض صياحا
 وقالوا ليس في الشرق علم وهكذا قالوا حتى تنازلنا عن عوائدنا
 الموروثة وعلومنا المرسومة وجادوا علينا بفيض من غيض قشور
 علمهم فغمطنا حقوق الاولين وجهلنا سيرة الآخرين الا فلنستخرج
 الكتب من اماكنها ، ولتستخلص العلوم من خزائنها ، وليقم العلماء
 بالامر فقد فسد الزمان والمكان ، وأصبح الناس في غفلة معرضين
 ان حراما في مدارسنا ان يخدم التلميذ استاذة او الاكبر منه فيخرج
 ابن الكبير العظيم كبيرا او عظيما اى لا يبالي بالامة فحق على الامة
 اليوم ما نحن به عالمون

- ٣٠ -

﴿ النعامة والمتعلمون في اوربا ﴾

للنعامة ارجل كالبهائم ، وتطير باجنحة كالطير حتى انها تحسب في الطيور وفي البهائم ، وقد لا تعتبر من احدهما وقد تكون مع الطير وقد تكون مع البهائم ، الطيور ذات اجنحة ، الحيوان يعدو على الارض فهي تعدو لكن الطيور لا تعدو فهي منهما على وجه وليست منهما على آخر ، هكذا المتعلمون في أوروبا من ديارنا ، منهم من أصبح وطنيا صادقا ، ومنهم من افتخر بانه افرنجي مترب ، ومنهم من جاء بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ، وان النعامة رمز حيواني للأمم المهضومة التي اغتصبها الامم الاجنبية ، ان لله لسراً عجيباً انه لطلسم عجيب ، ههنا كشف طلاسمه وفك رمزه ، انه وضع حيوانا على شكلين طائر وماش اذ سر عجيب وتمثيل حال التلاميذ من الامم الضعيفة ، يسافرون فيرجعون وهم ازواج ثلاثة فاصحاب اليمين ما اصحاب اليمينه وأصحاب المشأمة ما اصحاب المشأمة والسابقون السابقون ألا فليكن للامة تعليم وطني عام يتناول سائر الطبقات فلا يشذ عنه فقير لقلة ماله ولا غنى لكبريائه

قال لي رجل من بتاوه عاصمة جاوه انني شاهدت في بلادى ايام الاعياد صبيات عليهن البرانيط (القبعات) تشبها بالافرنج فهن كالنعامة فلا يلبس الجسم شرقية وملابس الرأس غريبة وكانما هي

رمزان الحكومة والتعليم في بلادى افرنجيان ، ان الحكومات رءوس
الامم والعلوم مناطها الرءوس فكان وضع (القبعاث) على الرأس اشارة
الى تفريج رءوس الحكومات ورءوس الافراد في بلادى فصارت الامة
كالنعامة والامران في تنازع وشقاق فان غلبت الافرنجية كما حصل
بالاندلس قديما وانذرهم به ابن خلدون اذ قيدوا الافرنج في ملابسهم
وما كلهم وأعمالهم فهي الطامة الكبرى والعياذ بالله ، وان علت الصفات
الوطنية والدينية زال العدو واستقلت الامة ، ما دخل الافرنج بلاداً الا
فتيحوا عقول ابنائها قبل فتوح ثغورها ويقولون لهم انهم ضالون ، وان
عقول أسلافهم قاصرة ، وعلومهم باثرة وانهم هم جاحلون ولدهم
جاهلون فحق القول على اكثرهم فهم لا يعيشون الا مقهورين
فقلت صدقت

- ٣١ -

(السائس والدجال)

هما شرع متساويان الاول يخدع الامم والثاني يخادع الافراد
هذا يعزم ويدمدم ويهمهم ويرقى وذلك يغشى العقول بالوعيد
والتهديد تارة والوعد والتبشير بقرب وفاء الوعود وصدق العهود اخرى
هذا يقول ستنالون المطالب وتحصلون الغنى وذلك يقول سوف تنالون
سعادة بلادكم هذا يقول لا يفتح الكنز الا اذا احضرنا البخور من

الهند والصين أو أوروبا ولا وجود لذلك الموصوف ان هي الا أسماء
اخترعها دهانا وكذبا وذلك يقول ان نخرج من دياركم حتى تتعلموا
وهم على زمام العلم قابضون ولن نبرح الارض حتى تهذبوا وهم عن
التهذيب للامم الضعيفة مبعدون

لقد جاء رجل الى جاهل من جهال بلادنا وهو مثر فزين له ان
في منزله مطلبا فصدقه المسكين ، وحفر حفرة في داره ثم أخرج
الحافرين فقال له احضر كل حلى عندك فجاء به ووضعها في خرقه
وشد عليه شدا محكما ، وقرا عليه ودمدم ، وترك صاحب المنزل في غفلة
واستبدل الذهب والفضة بالفلوس ثم وضع آخر الليل ورقا أصفر على
جوانب الحفرة وثبتها عليها ، ثم احضره وقال له انظر اليس ما ترى ذهبا
فقال نعم فقال لتكن هنا ثلاثة ايام حتى ارجع ولتحفظ هذه الصرة
فان الخادمين هائجون وولى هاربا ولم يعقب ، فلما مضت الايام
الثلاثة رأى ذهبه فلوسا ، وحفرته ترابا وورقا براقا فاسقط في يده
وقضى نجبه ، وحل رمسه ، وودع العالم ، ذلك جزاء الجاهلين ،
الا فليعقل الافراد وليعم التعليم سائر الطبقات فلا يغش الدجالون
الافراد ولا السواس الامم

- ٣٢ -

(نبات على حائط القلعة)

رأيت نباتا ممتدا على حائط القلعة متسلقا من اسفل الى اعلى
متسع اسافله مستدق اعلاه انه نبت في مجرى الماء المنصب من عمل
العساكر وغسل ثيابهم

نعم نبت على ما تجمع من عكر الماء وتجمد على الحائط انه كان
خضرا نضرا بهي المنظر في مكان خلا من علامات الجمال والنضرة
انى نظرت اول أمس اذا هو قد ذوت اعضائه وأحمرت أعواده
الاسافل وعريت أعواده عن الورق فترى عيدانا محمرة ذاويه تتخلل
اوراقا خضرا رأيت ذلك فذكرت نضرة النبات وجماله قديما واعريراه
وذبوله حديثا

النبات يزوى ولكن مبدأ النبات وانمايه دائم ثابت ، ان
نواميس حياة النبات والحيوان باقية لن يضرها ان يذبل نبات أو
يعوت حيوان ان الحياة العامة لا تزول انها كدار صناعة تعطى الناس
كل يوم ما به ينتفعون وكمثل آلة النور يدور دولا بها ليلا ولكل
بيت حظ من اشعتها فاذا سلبت بيتا نوره فكم لها من بيوت حديثة
ان ناموس الحياة العام يعوض ما فقدته الاحياء تذهب الافراد والانواع
ياقية الى حين لا بقاء للاحياء بلا ناموس لا حكم للاشخاص وافراد

النبات والحيوان الا انما الامر كل الامر في تلك القوانين البديعة
الضامنة لتجدد الحياة ان تلك النواميس بحر امواجه الاحياء او شجر
هى ثمرته او سفينة هم ركبها او قطر عليه يسافرون او كواكب هم
اضواؤها هكذا الامة لا حياة لها الا بنواميس الاخلاق الكامنة
الدائمة فيها جيلا بعد جيل وقرنا بعد قرن ، الا انما حياة الامم
تتبع الاخلاق الدائمة التى يرثها جيل عن جيل وابن عن أب وام
وولد عن والد نواميس الاخلاق فى الامم عنوانها رفعة وضعة انها
لتبقى ويفنى الاشخاص الاخلاق فى الامة سمط تنظم فيه خرزات
الافراد انها لبحرهم امواجه سافية دائرة هم مائها المتدفق وطحون
هم دقيقتها واشجارهم اثمارها وبذورهم نباتها وسحاب هم قطراتها
واضواءهم الوانها ان ناموس الاخلاق فى الامم قانون والآداب
فى الدول اشبه شىء بنواميس الحياة فى الطبيعه هذا يحدث عنه
ان تحمل الامهات وتلد الوالدات وترضع المراضع وذلك يزرع الناس
لاقتحام الخطرات واكرام الضيفان والاعمال العامة وحفظ الامة
هذا يجدد ما اندرس ويحيى ما فنى وانطمس ويكسو الارض حلة
خضراء من سندس النبات وذلك يوحى الى ذوى الشرف والعقل
ان يعيدوا للامة مجددا وللعبادة سيادتها فيقهرن اعداءهم ويحيون
مجدهم ويسعون للرقى والفلاح ، هذا ما قرأته يوم عيد الفطر على
حائط القلعة ، قرأته فى ذلك النبات واثبتته هنا ليعلم ابناؤنا ان يتنا
من الشعر أو حكمة عامة او مثلا سائرا يدور على اللسنة وتعييه

الافئدة وتكنه القلوب وتحفظه الابناء يعطيهم حكمة ويمنحهم علما
 افضل من الف خزانة من الذهب وانكى للاعداء من الف جيش
 وامرع للرقى من المناطيد في الهواء والقطار في الارض والسفن في
 البحر، اعط الامة اخلاقا تعطك حياة وسعادة كن مثال الكمال في
 حركاتك وسكناتك لا تقل الا حكمة، مر الشبان بالفضيلة، بيت شعر
 مليء حكمة اصون للامة من حصن احيط بالمدافع، لتعد نفسك حافظ
 الامة وحدك لا تتكل على أحد غيرك، لا تقل ان غيرى اقدر منى
 فتقف عملك ان ذلك رجس من وسوسة الشيطان انه نكوص على
 على الاعقاب لتقل اعمل لها وحدى، قال عليه الصلاة والسلام والله
 لا قاتلنهم ولو وحدى كن العامل المجد لا تحتقر صغير عملك فلسوف
 ينمو، أحب امتك، احبها حبا جما، اجعلها نصب عينيك، غر
 عليها كما تغار على حرمك، ان اعتقاد المرء في نفسه الصغر والضعفة
 يضعفه عن العمل ويقعده في الكسل ويدعوه للفتور، انه لظن قاتل
 قل لنفسك دائما اننى اعلم لا متى، اننى ارقبها، اننى قادر على احيائها
 قو قلبك ساعد أبناء وطنك، لتكن لهم فخرا وكنزائنا، كن لامتك
 نورا مبينا كن عوناً للضعفاء، نصيرا لمظلومهم، محبا لاسعادهم،
 احب صغيرهم وكبيرهم وقويهم وضعيفهم، انهم جميعا عونك طرا
 أخوتك واحباؤك، قال الله ضعة النفس، وضيع النفس خوار
 العزيمة لا محس باخوة ابناء امته، يظن اغنياءهم اعداءه، وحكامهم
 سادته فيخفى في نفسه كرههم ويدفن في قبر فؤاده عداوتهم وهم لا

يعلمون غد نفسك بغذاء الشهامة ، اضئها بشمس الشجاعة ،
أعطيها نور الحرية انها لسوف تسموبك الى العلا ، ان اكثر صفات
الصغار ، من ذلة النفس وصغرها وضعفها فلتقو نفسك يتم عملك
وتتل املك .



— ٣٣ —

ليلة ٢٠ اكتوبر سنه ١٩٠٩

(سفاسف الاخلاق في العامة والمتعلمين)

مر شباب وهو يقرقع بارودا يسمونه الصاروخ لا يعبا به
الا الاطفال لو كان متعلماً لحول وجهه وصوب العمل صوب جلائل
الاعمال ، ذكرت اذ ذاك متعلماً وما كان من تصنعه في المناقشة
وخضوعه لقول ذوى الراسة قال قائل منهم يوما ان حجر رشيد الذى
عثر عليه الفرنسيون المكتوب (بالهر و غليفيه) (واليونانية) في
زمن البطالسه كاف في معرفة (الهير و غليفي) أى أن اللوح الذى لا
يبلغ مترين مربعين تعلم منه اللغة كلها لا الحروف الهجائية وحدها
ولا ريب أن البدايه تحكم بتقيضه انه لن يسع الا كلمات استخراج
منها حروف الهجاء بمقارنة اللغات ببعضها في الاعلام المكتوبه التى
لا تتغير بتغير اللغات سمع القولين فاتبع الاول وهو عالم بركوب الخطا
عالم أن ذلك زلل ولكنه جارى ذلك الرئيس ، باع عقله وذنه واشترى

بهما تملقا وجهلا مبينا، فالى متى لا ترجع هذه الامه عن سفاسف الامور
ان هذا الشاب اللاعب بالبارود لم يضر احدا ولكن اضاع وقته بما
يسلبه وهذا ممن ضلوا على غير هدى ، والو، متى يستفيق أهل العلم من
جهالتهم ومتى بالله يسود النصح والصدق فى البلاد ؟



- ٣٤ -

ليلة ٢٢ اكتوبر سنه ١٩٠٩

(القضاء والقدر)

قال قائل انى بحثت مدة طويلة لاسالك فى اعمارنا أهى محدودة
ولقد سالت كثيرا فما انبلج صدرى الا قليلا فقلت ايها الفتى انها
لمسالة على ابواب القضاء والقدر ان بنى آدم جميعا قسمان فريق يؤمن
بالله نظم العالم وهم أهل الديانات وفريق عظيم من الفلاسفة وآخرون
لا يؤمنون ولكنهم يرون أسبابا ومسببات فالامر راجع الى القضاء
والقدر على سائر المذاهب غاية الامر ان احدهما يرجع الى نظام بالمصادفة
والاخر الى نظام صدر عن علم وهنا اساء لك من أى الفريقين انت
فقال من المؤمنين بالله فقلت لو ان الله اعطانى فراسة عاليه ونظرا ثاقبا
افلا اقدر ان اعلم مستقبل امرك من ماضى حوادثك افلست ترى
كثيرا من الناس يفهمون باطن المرء من ظاهره اليست الكلمة قد
تعبير عن حال الرجل واخلاقه أو لست تعلم ان علماء الحيوان يعرفون

سائر اعضائه اذا عثروا في الاحافير على معدة او رجل قال نعم قلت
 او لست تعلم ان طائفة من الناس يستدلون باخايد الكف وشكل
 الاعضاء على اخلاق الرجل او ليس البذر معلوما للبازر يعلم انه
 سيكون على وفاق الشجر الذي استخرج منه نعم ولكننا نجعل
 مستقبل أمره بما يصادفه من العقبات نقصر نظرنا ولكن الله عز وجل
 علم المادة حين خلقها أفلا يعلم مستقبل أمرها ونظام حياتها فقال نعم
 لقد انشرح صدرى لهذا التقرير .

- ٣٥ -

- عجيبة -

(النعلان والسعادة)

بحثت عن النعلين في حجرة المقابلة فلم أجدهما ، انهما كانا
 حاضرين وما نظرتهما فدعوت الخادم ليفتش عنهما ، وبينما أنا أدعوه
 اذا النعل عثرت رجلى بها لانها كانت متوارية عني في ظل المائدة
 هكذا السعادة كامنة في عقل الانسان ، متوارية في ظلمات نفسه
 وخفاياها وهو لا يشعر ، بل ان السعادة التي تنشدها الامة كامنة فيها
 انها مخلوقة فيها ، ولكنها تصل لها اما بالمصادفة وهو النادر كما
 اذا اصطلحت الدول على أمر فازعجوا الامة القاهرة ، فولت مسرعة
 وهذا اندر من الكبريت الاحمر ، وأين الكبريت الاحمر ، وقارة

بالعلم والعمل ، وهو الطريق المعهود ، ان في الامة استقلالها ، لا يمنعها
 مانع الا سوء أخلاقها وغفلتها ، كما صدني عن عثوري على النعل
 ظلام الظلال ، في ضوء المصباح ، ان فيما بين ظهرانينا أمة القبط
 انهم جزء من عشرين منا هم نصف العشر انهم متقدمون ، ان عليهم
 لسلطتين المسلمين والانجليز ، ان منهم في الشهادة الثانوية هذا العام
 ثلث من نالوها ، انهم أرقى منا ست مرات ، لانهم نصف عشرينا
 وغلبونا ، أفلا تفعل مثلهم ، هذا نموذج وضعه الله لمصر لتستيقظ
 من غفلتها وتقوم من نومها ، هذا الرجل المسمى فرر ، قتله ملك
 الاسبان لاتهامه بالتحريض ، انه بنى مائة وعشرين مدرسة وأقفلوها
 ففي الارض أمم تمنع العلم عيانا ، ولكننا لم نقفل مدارسنا اذ فتحناها
 قالعار على السكان في مصر لا الحكماء ، أفليس منا رجل رشيد ؟
 ومن ذا الذي يقوم فيدعو لعمل عام ، وتعليم وطني ويجعل على كل
 مائة فدان فدانا واحدا ، ويبين للناس فوائد هذا العمل النافع من
 مدارس ابتدائية وثانوية وعالية ، ان هذا لفي الامكان .



- ٣٦ -

٢٣ اكتوبر سنة ١٩٠٩

(نظرة في السحاب)

جلست ذات يوم في مكان فسيح فلاح لى سحاب في جو السماء ، وكأنما هو هضبة من قطن مندوف ، او آلة من لؤلؤ منضود ورأيت من تحته شجر النخيل باسقات ، لها طلع نضيد ، يمتد اطراف جريدها الى سائر النواحي ، وكأنها تشير الى السحاب بالحمد وتشتي عليه شاكرة لمنحه وعطاياه ، والنسيم عليل يتلاعب باوراقها ، وكأنما ربطها ثم ساقها الى جهة السحاب ، ثم أدار وجهها صوب الشمال ، وأنا ناظر متعجب مبتهج بما أرى من زرقة اللازورد في السماء ، وبهجة الماس في السحاب ، ونضرة الاغصان والجريد والورق في النخيل ، وكأنما الحابة جبل ماء دافق ، والماء يتلاّلا بارزا لا حامل له وهو مكفوف بناموس عجيب ،

راقني هذا المنظر فقلت هكذا يكون الكرم والاحسان ، ان الله جم عطاؤه وقد أرانا إحسانه عياناً ، أفلا نكون محسنين خلّقه مجدين فيما تنوخوا من الاعمال ! ألا فلنتخلق باخلاق الله ، انه يحسن للبارين والجاهدين والطائعين والعاصين ، والاقوياء والعاجزين ، ولا إحسان أعم من احسان الحكمة والعلم وانارة العقول وهداية الناس ، بل

ورد مامعناه حد يقام في الارض خير من امطارها أربعين يوماً ، ولعمري
 ان الحكمة في عقول الامة أسعد لها من الخصب ، فرب قوم
 أخصببت أرضهم وأجدبت عقولهم فلم ينفعهم ما أخصبوا وأضر بهم
 واجتاحهم من الوجود ما أجدبوا ، اذ ربما تنازعوا فقتلوا ، او
 تسلط عليهم الامة فتبيدهم لجهلهم ، ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا
 ما بانفسهم ، واذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه
 من وال ، كنت أنظر وانا شاب للسحاب وانا أتوضأ فقلت (يا مجرى
 هذا السحاب علمني) فانظر الفرق بين النظرين وتأمل كيف كان
 النظر الاول مذكرا بالتعلم والثاني حائنا على التعليم ان بينهما لنحو ثمان
 وعشرين سنة ، اللهم انك أعطيت أولى الحسنين فاتم أخراهما انك
 حكيم عليم سميع الدعاء .

— ٣٧ —

ليلة ٢٥ اكتوبر ١٩٠٩

(تولى الله سكان البوادي وشقى سكان المدن)

ابناء سكان البوادي اقرب للصحة من ابناء الفلاحين ، وهم
 اقرب اليها من ابناء المدن ، الظباء والقرائر (ولد بقر الوحش وغيرها)
 اصح أبداناً وأقوى جسوماً من ولد العنز والشاة لسعادة الاوائل

بالحرية ، وأولئك في اصفاد المدن مقيدون .

تولى الله من عاش بالفطرة وוכל أمر غيرهم لمتولى شؤونهم
فصحت أبدان الاولين ونظمت مدينتهم في القلوات وتقصت
سعادات الآخرين ، ولم يحياوا الا بالنصب والالم والطب والجراح

— ٣٨ —

﴿ قد تكون الامور باآثارها لا باصولها ﴾

الانوار تحدث الالوان ، وبها الهداية في اعمال الحياة والجمال ،
والبهجة والحسن ، وما هي الالوان ، ان هي الا آثار النور الفاض
من الكواكب ولا لون للمرئيات ، ان لونها الا السواد ، بل النور
نفسه ليس الا تموجات في الاثير المحيط بنا بل هو تأثير في الاعصاب
كم له من منافع وثمرات ، والروايات والقصص والحكايات وضعها
الحكماء لسوق الناس للعمل وشوقهم للفضيلة ، انها لارفع قدراً
وأغزر نقعاً وأحسن وقعاً من التواريب المروية والوقائع الحريية
قد يكون في حقائقها ما يكون قدوة سيئة للعاملين ونقصاً مشيناً
للناشئين ، وكم في الطبيعة من آثار عجيبة أسها الحيل ونتائجها المنافع
وثمرتها السعادة ، ألم تر الى النبات الذي ذكرناه في كتاب الزهرة
اذ منحت أغصانه في أطرافها ما يشبه قطرة العسل ، وما هو بالعسل
انما هو كشبكة صائد تأوى اليها الحشرات الجاهلة طمعا في حلاوتها

فاذا وقعت عليها اهتزت فحركات أعضاء الذكور والاناث فكان
الانتاج والائتمار ، ان في ذلك لعبرة لأولى الابصار ، وعلى ذلك
كانت اكثر مؤلفات الروائيين من الحكماء والعلماء مختزعة تشويقا
وترغيبا ، وهنا مجال واسع للخوض في القصص الخيالية ولن يباح
لى أن أفشى سراكتهم الحكماء والاولياء في القصص فذلك
تدعه لمن بعدنا يفكرون فيه اذا جاء أجل رقى الامة وتنور العقول

- ٣٩ -

يوم ٢٦ اكتوبر ١٩٠٩

(الصم البكم العمى)

جلست في مكان تشرب فيه قهوة البن ، اذا ثلاث يتكلمون
بالاشارات ، اشارات الايدي والاعين والرؤوس والحواسب والقم ،
ثلاثة - صم - بكم - كل أصم فهو أبكم ، وهؤلاء صم انتحلوا لهم
اشارات وكونوا لهم لغة ، تلك لغة الاشارات اللغة الطبيعية ، هؤلاء
أصحاب يتحدثون واخوان يتحاورون ، ألا انهم مشتركون في
النقص والكمال ، مشتركون في نقص السمع - وقوة النطق متحدون
في البصر وقوة العقل وسائر الحواس ، بذلك اتحدوا لم يصحبوا
أحدا من المبصرين السامعين المتكلمين ، انهم لن يشركوهم في النقص
كما أشركوهم في الكمال ، لذلك نفروا منهم الا أن الائتلاف مبناه
الاتحاد في الصفات ، وعلى ذلك يحب العالم العالم لاشتراكهما في

الكمال ولا يتحد مع الجهال لانه لا يشركهم في النقص كما شاركهم في الكمال ، والمظلوم يتحد مع مثله ، هكذا ذوو الاخلاق الجميلة يتعاشقون ويتحابون ويتوادون ، انهم جميعا متا زرون لذلك وجب بث العفة - والشجاعة - والمروعة - والحكمة - ليتحد فيها أبناء البلاد فيتعاشقون ويتوادون ، وليس فيما عدا ذلك اتحاد ، وهذا هو التعليم الوطنى ان يتحد الوطنيون في تعليم عام يجمع وحدتهم كالاتحاد فى الملابس - والزى - والاخلاق الفاضلة - وبالجملة لا بد من عقيدة واحدة تشمل الامة ، إما فضيلة وطنية او دينية ، وبغير ذلك لا سبيل للاتحاد .

— ٤٠ —

﴿ الدودة والناقة ﴾

تعليم الدين فى الامم الشرقية محرف على نمط اهواء الظالمين ، ان المعلمين فى بلاد الشرق يدسون المتعلمين فى حمأة من الجهل ويغمسونهم فى طين الخيال والوبال ، ويقولون كونوا دودا منزوين فى ثنايا الطين وظلمات الوحل ، وغيابات السجن والاهوام ، ألا ان للدود حاسة اللمس وقد فقدت بقية الحواس ، وللناقة السمع والبصر والشم والذوق ، ان الدودة تسير ذراعا فى دقائق كثيرة والناقة تسيرها فى ثانية ، الدودة تأكل من الطين ، والناقة من الحشائش ، ان الدودة

لا تحمل ولا تنفع ، والناقة تحمل أثقالنا ، الدودة لا يؤكل لحمها
والناقة ما كولة اللحم ، الدودة لا عظم لها ، والناقة ذات عظام ،
الدودة لا لبن لها ، وفي النوق الالبان ، الدود لا صوت له ، وللناقة
أصوات ، الناقة تخزن في بطنها ما كَلَّها . ولا مخزن للدود ، الدودة
تخفي في باطن الارض والناقة ظاهرة ، الدودة لا تأخذ بثأرها ولا
تقضب والناقة تأخذ بثأرها وفيها قوة القضب .

ان رجال الدين في الامم المنحطة يؤولون الديانات على حسب
اهوائهم ، ويقولون للتلاميذ كونوا خاضعين سامعين ، يامروهم ألا
يتكلموا ولا يسمعوا ولا يبصروا والا يدافعوا لثلاث تراهم العيون ، والله
يقول في القرآن (أولم ينظروا في ملكوت السموات والارض وما
خلق الله من شيء ، أفلم يسيرا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون
بها او آذان يسمعون بها فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب
التي في الصدور)

- ٤١ -

﴿ تفسير آيتين في تاريخه ﴾

(فلولا كان من القرون من قبلكم أولوا بقية ينهون عن الفساد
في الارض الا قليلا ممن انجينا منهم واتبع الذين ظلموا ما اترفوا
فيه وكانوا مجرمين)

يقول الله تعالى (يامعشر العرب ومن معهم من الامم ، لقد علمتم
 اخبار من قضى من الامم وكيف ضاقت حيلهم وظلموا في أحكامهم
 ففسقوا في ديارهم فاخذناهم بذنوبهم وقطعنا دابرهم فلم يكن فيهم نبلاء
 يدعونهم الى الرشاد وينشلونهم من الغي ، هلا قامت منهم طائفة
 مستنيرة ، دعت للفضيلة ونفرت من الرذيلة ، وأمرت بالعدل ونهت
 عن الظلم ، هلا قام في كل جيل فئة من ذوى النفوس الطيبة يدعونهم
 الى خلع ربة الكسل ، وحل عقدة عقدها الشيطان على قلوبهم حتى
 انغمسوا في حمأة الرذائل ونسوا حظا مما ذكروا به ، أفلم يكن منهم
 إخصائيون للامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، يجهرون بتقييح
 ما استحسنه الجاهلون ، وتحسين ما غفل عنه الناس أجمعون ، على
 اننا لم ندع الفطرة وشأنها ، بل خلقنا في كل جيل اناسا ساعدتهم
 فطرتهم وغرائزهم على القيام بشأن العامة ورفعة الامة وارشادها
 ولقد كتبنا في الفطر الانسانية كتابا لن تمحوه سطوة الظالمين ، ولا
 يحرفه تاويل المضلين ، يقول للامم الحاضرة على سبيل تفرع الامم
 الغابرة (فلولا كان من القرون من قبلكم أولو بقية ينهون عن الفساد
 في الارض) هلا كان من تلكم الامم فريق وقفوا أنفسهم وخصصوا
 حياتهم لا تقاذ أمهم من التهلكة ، ولكن لم يفعل ذلك الا قليل وهم
 الذين انجيناهم من وقوع العذاب بهم بل وعدناهم بنصرنا ، والذين
 جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ، ولئن مات كثير منهم بالسيف والنار
 ذاقوا الحتف وعذبوا ، فلقد حفظنا آراءهم ونشرنا مذاهبهم وجعلنا

لهم ذكرا حسنا في الغابرين ، أما اولئك المنعمسون في الشهوات
 المترفون الذين لا يعملون ولا يعلمون فقد اتبعوا ما أوحى اليهم الترف
 والتنعيم وكانوا مجرمين فهلكت أمهم بنفسهم (واذا أردنا أن نهلك
 قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا)
 (وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح وكفى بربك بذنوب عباده
 خبيرا بصيرا كقوم عاد اذ طغوا وثمود اذ كفروا وقوم لوط أتوا الرجال
 وقوم فرعون لطغيانهم والرومان لترفهم والفرس لضلالهم واليونان
 اذ تفرقوا شيعة في الاراء والمذاهب ، والعرب اذ تحاسدوا وتباغضوا
 فحق القول على المسرفين والمجرمين .

- ٤٢ -

﴿ الآية الثانية ﴾

كنت في مأتم فسمعت قارئاً يقرأ
 (وجعلنا الليل والنهار آيتين فحونا آية الليل وجعلنا آية النهار
 مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء
 فصلناه تفصيلا وكل انسان أزمانه طائرته في عتقه ونخرج له يوم
 القيامة كتابا يلقاه منشورا إقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك
 حسيبا) فقلت يقول الله نحن جعلنا الليل والنهار آيتين تدلان على
 حكمتنا وقدرتنا وشمول علمنا ووحدايتنا وجعلناهما مختلفتين ،

فاما آية الليل فانها خافية محجوة تسكن فيها الاجسام ، ويلم فيها
الظلام ، وأما آية النهار ففيها يبصر العاملون أعمالهم كي يسعوا لمسكسبهم
ويبتغوا فضلا من ربهم واذا رأوا كرور الليالى ومرور الايام عرفوا
عدد الشهور والسنين بعلم الهيئة ، ولن يتسنى لهم ذلك الا بالجبر
والهندسة وعلم الحساب ، هذه العلوم مقدمات علم الفلك وحساب
السنين ولها منافع أخرى في أحوال الناس ومعايشهم وحساب
المتبايعين والمتقاضين ودواوين الحكومات ، فكان للحساب مزية
أعم من مزية علم السنين ، ولذلك قال تعالى (ولتعلموا عدد السنين
والحساب) ثم أبان أن تلك الامور تفضيل لمجمل الزمان فعددها باوضح
عاد وهو الضياء والنور المشاهدان ، للبهائم فضلا عن العامة
والخاصة لشدة الحاجة لمعرفة السنين ولتفهم الحساب ، فلذلك قال
تعالى (وكل شيء فصلناه تفصيلا) كما فصلنا عدد السنين والحساب
ولما كان الانسان يعمل في الليل والنهار أعمالا تحسب في صحائفه
وتكتب في دفاتره ، ولها حفاظ كاتبون كما يحسب للفلك دوراته
وتعلم السنون وحسابها وأوقات الكسوف والخسوف ، أرفده بقوله
تعالى (وكل إنسان ألزمناه طائره) كتاب عمله في عنقه ونخرج له
يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا كما نشرنا نتائج حساب الافلاك في
الدنيا من حساب المقومين الذين هم الكرام الكاتبين في الانسان ،
فكما سخرنا في كل أمة أناسا يرمدون الكواكب ، ويحسبون

حركات الافلاك ، وينشرونها للناس ، فهكذا لكل انسان حفاظ
كتاب يصورون أعماله وحسناته وسيئاته ويخزنونها في حافظته
ويركونها جميعا في عقله ويرتبونها في أماكن النفس من الذاكرة
والحافظة والخيالة وعند الله في كتابه المكنون ولوحه المحفوظ ،
حتى اذا جاء أجلهم ونفخ في الصور وجمع الناس وبعث ما في القبور
حصل كل امرئ ما في صدره وعين عمله وشاهد قبائح أفعاله ومحاسن
أخلاقه ، ويقال له اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ، وأكده
ذلك بقوله (من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها
ولا تزر وازرة وزر أخرى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ..

- ٤٣ -

٢٧ اكتوبر سنة ١٩٠٩

﴿ تلاؤ النفس الانسانية ﴾

إن للنفس الانسانية وقتاً تتلاؤ فيه صفاء ويتجلى فيها جمالها
ويتباهى كمالها ، وزدهى حسنا وجمالا ، في هذا اليوم هبت نسمة
على أغصان شجرة تين بمنزل في الطريق الذي أسلكه الى المدرسة
من المنزل ، أسرت الى نفسى تلك الريح الحكمة الشريفة ، وأفهمتى
في الدنيا وحياة أهلها هبة نسيم ، وان الحرك والمنشئ لها هو الاول
والآخر والا فاما معنى حياة ضئيلة وأيام قليلة ، عجب عجيب ، انا في

سرور اليوم ، وكيف يخالج السرور الفناء ، وكيف يتناسب النسيم
وهبته مع العالم وتقلته الى الله وحياته وجماله وحكمته ، لعل السر
فيه أن حياتنا الحقّة في فناء الاجسام ، وزوال العناصر والتجرد
عن المادة ، وانسراح النفوس والعقول .

- ٤٤ -

﴿ هبة العلم أدوم في القلوب من هبة المال ﴾
(حكمة وتجربة)

كم أحسنت الى أناس فقابلوا نعمتي بالكفران ، ومعمروني بالجهل
ولقد قابلوا النعمة بمثلها كفرأ ، إن قليلا قليل ، وإن كثيراً فكثير
هذا أغلب ما علمته من الذين أنعمت عليهم نعمة مادية ولو من أقاربى
أليس هذا من العجيب ، اما افاضة العلم وتعليم الحكمة فقد رأيت
من تلقوها أحب إلى من أولئك ، كان الله عز وجل يريد أن يربنا
ان أهم الانعام ما كان بتعميم التفضيلة ونشر الحكمة



- ٤٥ -

﴿ صبية تفرح بالمدح ﴾

رأيت صبية تفرح بالمدح على خدمتها وتسارع للعمل حبا في
حسن السمعة والصيت ، الصبية من نوع الانسان ، والانسان مخلوق من

فيض نور الله ، والله لا يحب الا الاحسان ، الله خلق السموات والارض
 ووزنهما ، الله خير محصن وجمال - الله سعادة وبهاء - الله غرس
 في الانسان حب الاحسان ، كلمة طيبة أصلها ثابت في النفس وفرعها
 في الاعمال ، فرح الفتاة بالمدح صفة شريفة لم يعلمها إياها الا الفطرة
 علام يمدح الناس ؟ يمدحون على ما أعجبهم من المرء وهو في الاكثر
 واجع اليهم ، ففرح الفتاة بالمدح فطري ، والمدح انما يكون على
 ما وصل الناس من الاعمال ، فالناس خلقوا لاسعاد بعضهم ونظام
 الهيئة الانسانية .

- ٥٦ -

﴿ الام والحكيم ﴾

الام ترضع ولدها وتغذيه بالطعام ، وتحوطه بضروب من
 الاكرام ، وتدفع عنه أذاه ، وتواليه بالنصائح ، ولطالما تحملت
 الالم والنصب في اسعاده وطلما حلمت على أذاه وربما سرها
 المكروه الواصل منه اليها ، أليس من العجيب أن تضع نفسها تحت
 قدميه رهينة أمره جيسة خدمته ، وأن تجعل حياتها فداء لحياته ،
 وراحتها فداء لراحته ، وسعادته فوق سعادتها ، أليس في ذلك عبرة
 لذى عقل ، لم لا يكون حكماء الامة وعلماءها ناهجين مناهج
 الامهات ، أليس حظهم من الامم أوفر من حظ الامهات بينها ،

حظ الامهات أمل إطعام الابناء لهم وقيامهم بهن في بقية الحياة اذا
 مسهن الضر وبلغن من الكبر عتيا ، وحظ الحكماء أن تقرأ حكمتهم
 وتذاع آراؤهم بين طوائف الاجيال المقبلة يتوارثونها جيلا عن جيل ،
 ان نسبة ما بين امال الام من ولدها والحكيم من ابناء أمته ، كما بين
 نهر صغير في مزرعة يرويها والبحر الملح فيه السمك والمرجان والدر ،
 ومنه تتوالى السحب في الجوف تمطر الارض لا تنفد أمطارها فتزجي
 على الارض كل وابل وطل ، ولا تزال تحييها اذا ماتت وتخصبها
 اذا أجدبت وتسقى الحرت وتنمى النسل وتم العالم بالبركة ، ذلك
 مثل آمال الحكيم وأمل الام .

حق على العلماء أن يعذبوا ارواحهم ويتلقوا مهجهم في ترقية
 شؤون أبنائهم في الحاضر والمستقبل ، ان الله عز وجل وضع هذه
 الآمال في الامهات وفي الحكماء تشويقا لما أحبه وحبا فيما اصطفاه
 ان الناس مسخرون الى المنفعة العامة ، انهم يخدمون بعضهم ولا
 يشعرون ، ان ربي لطيف لما يشاء انه هو العليم الحكيم ، ان الام
 تهلع لمرض ولدها وتجزع لفقده وتنصب لراحته وتحزن ليفرح ،
 وهي لا تلاحظ تلك المعاني المذكورة بل جل أمانيتها ان تراه حيا ،
 ألا فليعمل الحكماء لمصالح الامة ، لا لمدح سيطر بهم ، ولا لصيت
 يرضيهم ، بل ليكون ذلك عن رغبة وشوق كما تحب الام ولدها وترغب
 في حياته وتسعى في سعادته .

- ٤٧ -

ليلة ٢٩ أكتوبر ١٩٠٩

﴿ البلاغة وقواعدها ﴾

انا مدرس بالمدرسة الخديوية أدرس البلاغة ، وقد تعلمتها بالازهر
وهكذا في دار العلوم ، قد سألت أستاذي بالجامع الازهر وأما محارر
هل عرفت ياسيدى حقيقة ان القرآن بليغ بفطنتك ومقارنته بكلام
العرب (وكان الشيخ يعرف صدقى) فاجابنى ياشيخ طنطاوى أنت
تعلم اننا لا نتم البيت اعرابا حتى تمضى ساعة لا تظن ذلك ، اذا لم نعرف
كلام العرب فكيف نحكم بافضلية القرآن عليه بانفسنا ، نحن اكتفينا
بالإيمان .

اللهم ان القواعد الموروثة ، والابواب المحدودة ، المسماة معانى
وبيانا وبديعا حجاب القى بين الناس وبين البلاغة ، فضرب بين
الناشئين وبين العلم والقصاحة بسور له باب باطنه فيه الجهل وظاهره
فيه العلم ، من أين لقارئ هذه العلوم ان يكون فصيحاً او بليغاً ،
قد علمنا بالاختبار ان اكثر الناس علما بها أقلهم حظاً من البلاغة
والقصاحة ، وكل ماسطره اولئك الاقدمون انما هو ستر على الجهالة
وضعوه ليتلهم بزخارفه القاصرون ، واكثر من ألقوا فيه العجم ولذلك
نراهم شحنوه بالفلسفة وخالطوه بالسفسطة كما نراه فى باب الفصل

والوصل والجامع العقلي ، والوهمي والخيالي ، ولعمري ان الطريقة
 المثلى والسمحة البيضاء ان يوضع كتاب فيه اشعار ومثورات عربية
 من العصور المختلفة وهو المسمى آداب اللغة ، ويتمرن التلميذ على
 تحكيم ذوقه وعقله ويعلم كيفية الحكم على الفرق بين كلام
 وكلام كما كتبنا اليوم في المذكرات من المقارنات ما بين القسم بقوله
 (والفجر وليال عشر والشفع والوتر والليل اذا يسر) وبين قول
 الشاعر (لعمرك ما أدري واني لا وجل على أينا تعدو المنية أول)
 فالفجر نور ممزوج بالظلمة بدى به النهار يستتبع طلوع الشمس
 والليالي العشر في أول الاشهر ذات قمر ينمو نوره ويستكمل اشراقه
 والشفع والوتر يلخصان علم الحساب وخواصه العجيبة القاضية بفهم
 الاوقات وعلم الحساب كانه يقول والفجر والليل وسير القمر
 والكواكب والليل والنهار والنور والظلمة ان الكافرين بنعمة العلم
 وانذار المنذرين وتبشير المبشرين الذين مثلهم كمثل الهلال في العشر
 الاول ، والفجر في اول اليوم هالكون لا محالة صاثرون للعدم
 مسوقون للهلاك في الدنيا والعذاب في الآخرة ، ألم تركيف فعل
 ربك بعاد اذ جاءهم رسول فكذبوه ، وقد كان نورا سطع وعمود
 صباح انطلق ، وهلالا بدا فكفروا به فزال نورهم وأصبحوا في
 ظلمات الكفر ، فاذا قارنا هذه الاية ومشتملها العجيب المعشوق
 للحكمة الداعي للنظر في الليل والنهار ، والفجر والهلال ، وذلك
 لا جرم نور من العلم سيق على طريق القسم تشويقا للحكمة وتعشيقا

الانوار ، وحساب الافلاك وارتقاء الفكر اذا قارناها بقول امرىء
القيس ، فقلت عمن الله ابرح قاعدا ولو قطعوا رأسى لديك واوصالى
من قارن القسمين عرف بفطنته البلاغة بنفسه ، وهكذا يجب
على الامة اذا تنور شبانها ، وعلى من قاموا بالتعليم ان يذروا الطريقة
العتيقة بتاتا وليمسوا بالشعر أفئدة الشبان وليلمسوهم البلاغة بقولهم
وليضعوا لهم نماذج ومقارنات فيما بين شاعر وشاعر ونثر ونظم واية
ونظم وقسم وقسم وتشبيه وتشبيه ، وقد ابتدأنا نضع لهذا نماذج
راجين أن ينسج الخلف على سنة السلف .

انى أخطب احبابى من بعدى ، وابناء الامة القادمين الى هذا
العالم ليخطوا لهم هذه الخطوة ، فسينبغ فيهم نابغون ويكون فيهم
كرام كاتبون وسيسبق الخلف السلف ، اذا قرئت البلاغة على هذا
المنوال فسرعان ما ينبغ الكاتبون ان فى المصرى استعدادا للبلاغة
عجيبا لا يوازيه فيه احد من العالمين

- ٤٨ -

﴿ اشراق النفس ﴾

(بهجة السماء وجمالها)

اذكر انى ليلة خرجت من القاهرة مساء لزيارة صديق فجلست
فى حقله وكان ذلك وقت الترويض ، والظلام حالك ، والليل قد

أرخی سدوله وأحاط ظلامه بكل حى فنظرت السماء اذا هی جنة ذات بهجة للناظرین هی بحر من نور تتلألأ ثواقب الزهر فی مائه وتسطع شوارق الانوار فی ارجائه خیل لی أن نور جمال الکواکب قد ملأ الجو وأحاط بما حولی من العوالم ، وتاملت نفسی والعوالم حولی ، اذا أنا فی عالم عظیم کبیر اصغر کوکب فی نظری یفوق الشمس ملايين مرة ، والشمس تفوق الارض ألقا مؤلفة وهذه النجمة القطبية تبعد عنا خمسين سنة ، مقدرة بسیر ضوئها مع أن الشمس یخترق نورها الافاق فی ٨ دقائق و ١٨ ثانية ، فكيف یكون مقدار ذلك الكوكب، وكيف حال المجرة وهی جمیعها کواکب تضامت فی نظر الانسان واصبحت بالنسبة لنا ذرات تمکاد تشبه اللبن وكل واحدة من تلك الذرات شمس کشمسنا ، عالم واسع ومملک کبیر ، واذا رأیت ثم رأیت نعیا ومملکا کبیرا ، فما الارض ومن علیها ، وما الدول والملوک والحروب والسیاسات ، وما الارض الا ذرة لا قیمه لها ولا وزن ، فمن الناس ومن أمراءهم وخزائنهم ما أصغر الارض وما اضعف الناس وما اوسع العالم وما أكبره ، الله اکبر کبیرا ، لقد صغرت فی عینی هذه الدول والملوک وسیاساتهم وممالکهم وأیقنت ان هناك حالة لنفس الانسان سینسى فیها الارض وما علیها والاحقاد لما یعشیه من العلم ، وما یوحى الیه من الحکمة الناس ینخضعون للجمال والقدرة والعلم فارباب الاموال وذوو النفوذ والجاه ذوو قدرة، الاولى مالیه والثانية جاهیه ، وذوو الجمال

يجذبون النفوس اليهم ، وذوو العلم يتبعهم السامعون والفاهمون ، فإذا
 زج بهم في بحر من نور العلم واشرقت على قلوبهم شمس الحكمة
 واطلعوا على سعة العوالم ونظامها وجمالها ، فبهروا الجمال وأدهشهم العلم
 وغشى على افئدتهم سعة تلك المخلوقات الهائلة أنساهم ذلك ما كانوا
 فيه من العيش واللذة والالم ، ولكن متى يخلص الانسان من ذنوبه
 القواطع فيحاط بتلك الانوار قال ارسطاطاليس ان هذه البهجة
 لاتدوم اكثر من لحظة ، وتبعه الغزالي في ذلك واكبرها ابن سينا في
 آخر الاشارات واتى فيها بمقامات تبلغ العشرين ، أما أنا فأتخذ
 ما أجده منها دليلا على جمال وبهاء سيصل اليه المرء بعد التجرد
 من عالم الطبيعة كما استنتجه الاقدمون من احوال نفوسهم

- ٤٩ -

(شابان يتضا حكان في شارع عبد العزيز)

تأثير الروح على الجسم صحة ومرضاً وموتاً وحياة
 رأيت شابين يتضا حكان في شارع عبد العزيز وهما واقفان على
 أديم الأرض إنيهما منها أخرجت نبا فافتناوله حيوان فاكلهما انسان
 فتكون نطفة فصارت النطفة لحماً وعظماً بامداد دم الطمث من المرأة
 فنشأ خلق صار صيبا فيضحك الارض لا تضحك ولا تفهم بحسب
 علمنا - وكذا النبات وأكثر الحيوان من أين جاء الضحك ؟

هيئة عجيبة جميلة بل غريبة ومعجزة . كيف يتضحك الشبان ، أنا
أرى الضحك كل يوم وأنا أضحك . ولكن لا أدري كيف جاء
الضحك بل كيف يتحركان إختياراً ، أم كيف يموت زيد لسماع خبر
ويحيى عمرو بنحو ساران في ذلك لذكرى للذاكرين ، الا انما الموت
الطبيعي المعروف في النبات والحيوان بامور مادية كقطع الغذاء أو
قطع أهم الأعضاء أو ادخال سم أو ما شاكل ذلك وكيف كان الموت
والحياة والسعادة والشقاء تتبع كلمات تسيطر على العقل فتهلك الجسم
ان هذا فوق المادة أفليس من العجب أن ينكر قوم الروح جهلاً
وهم غافلون ، المادة لا يزعمها الكلام ولا الأوهام ، فكيف اضر
الوهم بها فاماتها وسلطت تلك الاعراض السيالة عليها فهدمت هيكلها
ان في ذلك لتذكرة لمن يضحكون ويفرحون ويسمعون ويعقلون



— ٥٠ —

ليلة ٣٠ أكتوبر سنة ١٩٠٩

✽ العدل في الاشجار ✽

في هذا اليوم لم أعمل عملا عاما وانما هو خاص اذ شيعت جنازة مع المشيعين وسافرت في قطار الى البنتون وكنت مع اخواني ولطالما اختلست نظرات من خلال القطار فسنحت لي سانهات وتادت الى عقلي ملامح قدسية شاهدت العدل جليا في الاشجار ، ألم ترالى شجر اللبخ وقد وزع العصارة المجتذبة من الارض على أوراقه وأثماره وحبوبه ومنح كل ورقة قسطها وكل انبوبة حقها وكل حبة أو ثمرة ما تحتاجه في الحياة ، الا لا يسعد الانسان على سطح الكرة ما لم يصل في تقسيم أعماله الى العدل على حسب الاستعداد والقوى والملكات الشجرة ساق وفروع صغيرة واخرى كبيرة وأزهار وأثمار وصمغ وشوك وايف وورق له حد محدود من الاغذية والدمهارات فتوزع على كل منها ما يحتاجه اذ ليس الانسان شجرة تفرعت واصلا نما ونوعا انقلق الى فصائل ، والفصائل افخاذ كثيرة وافراد متباينة وكل له استعداد لعمل وصفة فلم لم يشغل كل فيما خلق له كما خصصت الثمرات بغذائها الصافي والاوراق بعصارتها والالياف بقوامها وقوتها ، الا فلتقم كل امة من امم العالم بما حدد لها من القوة والملكات ، الا لتوزع الحكومات على الافراد والاعمال الانسانية على سنة طبيعتها

أفلا ينظرون الى الالوان كيف اختلفت والى الاصوات كيف تباينت
والى العقول لم تشبهه ، والى الاحوال المتقاربة المتباعدة فليضعوا كل
امة فيما خصصت له ، وكل فرد فيما يناسبه وما يلائمه ويواتيه ذلك
فضل الله يؤتیه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ، لاحظت القطر
يجرى والاشجار كأنها تمر سراجا بعكس ما نسير ، والشمس والسحاب
يجريان بعكس المزارع القرية منا ، ان سيرنا عكس فضيه المناظر حولنا
نرى أرضا مدبجة بالسندس الاخضر والشجر العالى ونبات الذرة
وقد صار حطاما ، والقطن قد تحلى بشمره وتدلّت منه اشباه النجوم
صوب الارض والاشجار باسقات تتخلل تلك المزارع وقد جلال
اطراف اعوادها سحاب من دخان مركوم تصاعد من النار التي
يوقدها الفلاحون لقلّى امطار (١) الذرة وهم في حقولهم
يتزهون ، والسحاب ما بين كدرى اللون وبرتقالية واصفره وأحمره
قد تحلى به أديم السماء كأنه بحر موجه السحاب وكان منها ما يشبه
السوائم المختلفة الاجسام كأنها سود الغم ترعى في حقول خضر مراعيها
صفر حواشها تتخللها الاكام السود وسلاسل التلال وأنواع التراب
من أحمر وأصفر او كان السمار وض بهيج كله سندس خضر شخضت
فيه كتياب العنبر وآكام الزمرّد وركام من المرجان يحوم حولها السوائم
العنبرية ، ان الشمس لتلمع خلال ذلك السحاب الاكدر ككره

(١) جمع مطر وهو المسمى (الكوز) او سنبل الذرة

في بلادنا اه

من مرجان أو عقيق في كثران من عنبر على بساط اخضر شاهدت
 ذلك المنظر الجميل البهيج فالفيته في الحركة مقلوب الوضع كما
 يقلب المجادلون الحقائق واهل النفاق الاخيار سار ما قرب
 من مزارع الارض عكس صوب طريقنا وخاف سنتها ما تباعد
 كالسحاب وما وازاه من مزارع الارض فكنت ترى أحوال
 المنظور كأنه يصنع دائرة امام أعين الناظرين ، أفليس من العجب
 حسن الطبيعة وجمال مناظرها يقارنه الكذب في هيئة
 الحركات ، ان في ذلك لعبرة للانسان وقد خلق ظلوما جهولا خلق
 في أحسن تقويم وجمال ورأى العوالم مزدانة بابهى بهجة وحسن
 واعتدال فاذا جاء دور العمل على ما رآه في المخلوقات تولى بركنه
 وارتد على عقبيه وقال مالى بهذا يد ان ولا طاقة لى به فيعكس القضية
 ويوقع نفسه في بلية ويخر مغشيا على عقله بغشاء النفاق ويغطي على
 نياته بغطاء الرياء . ثوب الرياء يشف عما تحته ، ويكون مثله كمثل
 الجارية حوانا وماهى بحركات ان هى الا وهم فمسيرنا الى جهة أترقى
 المشاهدات تأثراً جعلها عكس طريقنا وهى اثرت فيما بعد عنا فجاء
 للوهم سيرها مخالفا فانتظمت اذ ذاك دائرة كونها الخيال ورسمها
 الوهم فان لم تكن فهمت أمرها فعليك بملاحظتها وقت سير القطار



- ٥١ -

﴿ حبك الشيء يعنى ويصم فهكذا الخوف منه ﴾

ان من الناس من خلق ليبالغ في حب الرئيس والخضوع له والتذلل حتى ينمى اعز عزيز لديه في حضرته فلا يسلم عليه وكان استغراقه في تذله حذف من ذاكرته من عداه ، هكذا فعل بعض من يتملقون كأن ذلك الرئيس شمس تجلت لناظره ومن عداه نجوم فلما أشرقت غشى نورها الابصار ، أو كانه في واقعة حرية قد حمى وطيسها وهو يجالد رسيسها (سيدها) فزاغ بصره وبلغ قلبه الحنجرة وهلع من هول الكرب ، ففسى الصديق والحبيب ان في ذلك لعمرة لقوم يعقلون .

- ٥٢ -

ليلة ٣١ أكتوبر سنة ١٩٠٩

﴿ هل بين الشجر قضاة ؟ ﴾

هذا السؤال عجيب والجواب عليه أعجب ، الشجر يتنازع الغذاء من الهواء والارض والماء مع بعضه ومع الحشائش والمزارع ، وليس يفصل في الاحكام بينهم الا النواميس الطبيعية ، فاذا اشتبكت

العروق في الارض وتبادلت الغذاء فالاقوى اُحق بجذب المنفعة له
بحكم الحقيقة ذلك حال الشجر ،

والحيوان قضاء يحكمون بينها بالحق ، كما في الغراب و كلاب
البحر وأنواع من الحمام ونرى الحاكم بين الحيوانات الكاسرة القوة ،
ونرى الانسان لم يشأن يرتقي عن حال الاشجار والحيوان ، فهو يجعل
الحق للقوة بين زيد وعمرو ؟ فاذا تضامنت أفراد فصارت قبيلة
فأمة ، عدلوا نوعا واخذوا يتحدون على ظلم غيرهم ، ان الانسان
لظلم كفر ! ثاب زيد فلم يقاتل عمرا ، وعلا عن الحيوانية وتعالى
عن النباتية وارتقى معالى مرتبة الانسانية ، ولكن ماذا جرى ؟ كونوا
جمعية كبيرة ، وأمة عظيمة ، فافرغوا سمومهم المخزونة واحقادهم
المدفونة ، وسوء أخلاقهم المستورة فيما بينهم ، وأوقعوا بامة غيرهم ،
ما منهم العدل أن ياتوه مع انفسهم ، فاصبح زيد وعمرو وخالد
جميعاً ظالمين ، لكن لغيرهم لا لبعضهم وكانهم رماة استبدلوا
طعن غيرهم بطعن انفسهم ، فاصبحوا جميعا بالرماح ضاربين أئماً
سواهم فهم طراً مجرمون - وحميماً خائثون - ألا لا يمتاز الانسان عن
الحيوان الا بترك العدوان ، ان الانسان اليوم طفل - انه جهول -
انه لا أدب عتد جماعاته ! متى يرتقي ؟ يرتقي اذا صارت الامم كافر
الامم المتمدينة تتمتع بالحقوق لا يظلمون ولا يظلمون .

أول نوفمبر سنة ١٩٠٩

(هبوب النسيم)

هبت النسيم وقت الظهيرة فتلاعبت باغصان العنب المفروشات
على الحيطان ، وقد برق الجمال ، وسطع بين طبقات الاوراق ، فخلت
كانه في وشوشته للأغصان وحنينه بين الاوراق وهى تتعاقب يقول
كن أيها الانسان جميل الطلعة باهى الجمال لابساً حلل البهاء ،
ونظيف الثياب حسن الشكل عطر الرائحة ، تعلوك المهابة والوقار ،
كن قدوة للامة فى قولك وفعلك ، نوراً لهم مبيناً ، فالكون جميل
والنجوم باهية ، والشمس والقمر بديعان ، والعالم جمال فى جمال
والشجر منظم الاغصان بديع الاوراق لا نرى من ورقة تخالف
شكل صاحبته ، ولا زهرة تباين اختها ، كل ذلك موزون مصون
لا ترى فى خلقه من تناقض ، فارجع البصر هل ترى من خلاف ،
ومن عجب أن يكون العالم جميلاً ، والنجوم والشجر والدواب
والانسان كلها منظمة بديعة الاشكال ، ثم قبح شكل المدنية الانسانية
فلم يسلك الناس سبيل العدل ، فمنهم الظالمون لامهم - ومنهم الظالمون
لام اخرى ، فالاولون هم المتوحشون ، والآخرين هم المتمدينون

فحق عليهم انهم ظالمون ، ومن العدل مبرءون ألا انما العدل في
الجمعية والنظام الصحيح في هذه البرية أن يقوم الناس بالقسط ،
وتقسم الاعمال على حسب القوى والقدر والمواهب العقلية والجمانية
لا على مجرد القهر والجبروت ، للنفوس البشرية مواهب لا تزال كامنة
فاذا استخرجت أصبح الناس عادلين وضاهت المدنية البشرية نظام
الحكمة الالهية في الاشجار واوراقها ، والحيوانات وأعضائها
والاناسي وملكانها وحواسها ، ولعل هذا بعض ما اشار له الكتاب
بقوله (والله يدعو الى دار السلام ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم)

- ٥٤ -

ليلة ٢ نوفمبر سنة ١٩٠٩

(وقار النخيل)

مررت في حديقة ذات نخيل وقت العتمة ، فرأيت النخل تلوح
عليه سماء الوقار وقد سمقت جذوعه ، وامتدت أغصانه ، وهو رافع
خوصه المحددة الاطراف صوب السماء الجذوع مغبرة اللون تحمل في
للجو العالي روضة من ورق خضر سندسية والنسيم تهب عليها مائلة
ذات اليمين وذات الشمال ، وغوير الاحراش المتخللة النخلات
يذهب في طبقات الجوليتلاقي مع خفيف النخلات وقد سمعت
وقات ساعة متتابعات يمازجها اصوات سكان القاهرة وقطارهم والسماء

كاسية سحابا غبرى اللون يتخلله ساطعات الكواكب لامعات
 كأنهن ازرة بيض على جوانب ثوب اسود وبعض اما كن في السماء
 كساها الحسن ثوبا أبيض فوق زرقة صافية بينهما مصابيح النجوم
 باهرة متلا لثة ناظرة الى وأنا اقلب الطرف في حسنها ، وأمسك القلم
 لاسطر وصفها ، واشرح حالها ، إن قلنى ليعجز أن يصف ما
 يخامر القواد من المعانى البديعة الواصلة له اذ يرى في ظلمة الليل
 ذلك المنظر ، وما على النخل من الوقار والبهاء والابهة انه لعظة
 للعظماء ليتخذوه مثال الوقار والتأنى وحسن الهيئة وجمال البرة والتؤدة
 مع لطف الشائل وقرب المتناول (وأنبئنا فيها من كل زوج بهيج
 تبصرة وذكرى لكل عبد منيب)

— ٥٥ —

ليلة ٣ نوفمبر سنة ١٩٠٩

(المصريون والامم)

اعتري الاسلام في انحاء الارض قديما داء الجود . فائتر في اعصابه
 وانحنى امام الجهل وسجد للقوة واستقامت دوله وخضعت ولم يقيم
 من سباته العميق الا هذه السنوات ، فرفعت الترك رأسها واخذت
 القرس دستورها ، ولكن وقعت الواقعة وانشقت سماؤهما فهي واهية
 قاما مصرفان لها شأنا غريبا عجيبا لستأ تقارنها بدول أوروبا حتى

يقال غلونا في المقارنه ، وانما أردنا ان تقارنها بضعيف مثلها ،
 هم رجال القرم المسلمون ، ذلك ان بلاد القرم تبلغ خمسة الملايين
 ومسلموهم مائة الف نسمة كونواست جمعيات اسست ست مدارس
 رشدية (ابتدائية) ولكل منها ارساليات الى انحاء العالم كالاستانة
 وبطرسبرج والجامع الازهر ولهم ، عدا ذلك عشر مدارس أهلية
 ليس للحكومة فيها يد عاملة ولا درهم لها اتفقته أو ساعدت
 أى مساعدة ولكل جمعية رأس مال يستثمر وينفق من ريعه
 على المدارس والاعمال الخيرية العامة ، كدواوة المرضى واطعام
 الفقراء ، ومواساة ذوى الحاجات ، واسعاف المقعدين ، وعلى كل
 عضو فى السنة ستون قرشاً ، وللجمعيات ليال تمثيلية تخصص ريعها
 لنفسها فاذا قارنا الآن اولئك الاقوام ونسبنا عدد المصريين الى عددهم
 فنحن ١١٠ اضعاف لانا ١٢ مليوناً ولنفرض عدد المسلمين ١١
 مليوناً لا غير كانوا ضعف اولئك مائة مرة وعشراً ويضربها فى ست
 مدارس تكون أعدادها هنا ستمائة وستين مدرسة واذا ضرب ١٠
 عدد المدارس الاهلية فى ١١٠ ساوى ١١٠٠ وباضافة ٦٦٠
 يكون مجموع المدارس التى تنشئها الامة حتى تلحق بالقرم لا اوروبا
 ١٧٧٠ مدرسة تبني على ثقافات الامة لا الحكومة أفليس الامر
 يورث الجزع والحزن ، لقد حق القول اليوم ووقعنا فيما
 استعاذ منه رسول الله صلى الله عليه وسلم (اللهم انى اعوذ بك من الهم
 والحزن وأعوذ بك من المعجز والكسل وأعوذ بك من الجبن والبخل

وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال) كان النبي صلى الله عليه وسلم كأنه ناظر لنا اذ ذكر المعجز والكسل والجبن والبخل ، فقد اجتمعت هذه النقائص الاربعة التي ما دخلت امة الا اورثتها غلبة الرجال ، فيا حسرة على بلادنا وباطنة المصريين ، وبأسوء حالنا اذا لم نستيقظ من غفلتنا ، يا أبناء بلادى بالله عليكم اى الامم سابقتم ، ها نحن اولاء ضربنا لكم مثلاً بمسلمى القوم فالى متى نعيش جاهلين ؟ اذا أردتم أن تلحقوا بالقوم لا باوروبا ، وجب أن يكون فى البلاد ١٧٧٠ مدرسة ابتدائية ماعدا مدارس الحكومة ، فما بالكم لو طمتم فى اللحاق باوروبا نفسها ، ضرب الله لكم مثلاً بامة القبط فهل فقهتموها ، وهلا اتخذتموها نبزاً لكم تهتدون به انهم نصف عشركم ، ولكنهم يتالون فى الشهادة الثانوية أكثر من الثلث فهم على هذا التقدير أرقى فى التعليم سبع مرات ، فهلا اجتهدتم لتلحقوا شاوهم لهم مدرسة ثانوية ، وعلى قياسها كان يجب ان يكون لنا عشرون ، فاذافعلتم لتلحقوا بالسابقين أمدرسة الالهامية المنشأة فى هذين العالمين ، أمدرسة شبين الكوم ؟ افلا يجب ان تكون المدارس التجهيزية ٢٠ حتى تلحق بامة القبط فضلاً عن الطليان والالمان ؟ أفليس من العجب ان نكون محط رحال الامم ولا نفقة ، وان فقهننا لا نعمل ، وان عملنا نتحاسد ، وان حسدنا أوقعنا الاساءة الاساءة مثلاً القوم الظالمون لو ان اغنياءنا أسسوا لهم جمعية تضمهم وتجاوز كل من ملك خمسين فدانا فاكثر عن فدان من ماله ، لاجتمع عندها الاف مؤلفة من العقار ولقاموا بامور كثيرة مادية وأدبية ،

٣ فبراير سنة ١٩٠٩

الا انما مثل العقل الانسانى كمثل الكرة الارضية ثبتت العشب
والكلاء واشجارا بهية فى الصحراء ، ولو اعوزتها الاعمال النظامية
من الحرث والسقي لزرع ما ياكله الناس ، هكذا العقل لا يفتا يخرج
علوما ويظهر اثارا اذا غادر دراسة العلوم المنظمة فى المدارس وبعض
العقول التى فيها فضل على ما عرفت من العلوم الرسمية تبتهج
بزهرات الاخلاق وثمرات الآراء ، وفرائد الحكم ، وعجائب
الملح الشاردات البهيات ، كأنها الغزلان فى القلوات والطيور
على الاغصان مغردات ، لقد كان اولئك المفكرون سبب ارتقاء العلم
فى اوروبا فان اكثر الفلاسفة منهم اقل علما بالعلوم الرسمية عن
غيرهم ، فلا تستصغر خاطرا يمر بخلدك فلربما كان فيه حياة الابد
لامتك لا تحقره فسيستقيه الوايل من العقل الاعلى ، وطل الفضل الالهى
وتسـيخنه حرارة شمس الغريزة الانسانية وينبت فى ارض العقل ،
وينمو فى جو الآمال ، وتحصده الاجيال المقبلة ، فاذا أنت امت
فمكرتك وحقرت موهبتك ، كنت كمن ورث عن أبيه ارضا مزدانة
بغابة فيها الغزلان والنمور والفهود فيها الطيور المختلفة الالوان
الجميلة الاصوات العجيبة الاشكال ، فتركها جهلا بنعمته ،
وكفرا بخالقه ، فان المهمت بحكمة وأوحى اليك رأى فقل الحمد لله رب
العالمين وكن لله من الشاكرين

ليلة ٤ نوفمبر سنة ١٩٠٩

﴿ اللوف والنخل ﴾

اللوف نبات يحمل ثمرامستطيلا متى نضج صار آلة لغسل الاجسام لينظفها ويزيل عنها الدرن ، اشبه بالليف ولكنه أبيض ناصع ، هذا النبات ينمو سريعا في الفصول الحارة والمعتدلة ، ويمتد سريعا على النخل الباسقة (الطويلة) رأيته التف على نخلة ، فجل سائر جذعها وجميع افنانها وأوراقها ، وتسلفت على اخرى فاخذت بخناقها ، وسارت معها علوا حتى شارف اغصانها العليا ، وهي باسقة جداً ذلك في هذا الفصل انها ستذبل قريبا ، ولكن النخلة لا تذبل ربما كان عمر النخلة ١٠ سنة وعمر اللوفة لا يكاد يجاوز ستة أشهر ، سارت اللوفة حينئذ وابطات النخلة ، ما اسرع ما اثمرت اللوفة وما ابطا ثمر النخل هذا مثل ضربه الله للناس والامم ضربه لهم لعلمهم يتذكرون ، اراهم عيانا كيف اعطى ، ما عظم نفعه وجل قدره ، وحلا ثمره ، وبقي أثره ، عناية اشد ، واحكاما اوسع ، وأبهى وابهر ابطاء سيرها واخر ثمرها ، ولكن اطال عمرها وابقى اثرها ، هكذا ترى اهل الرياء والنفاق الكاذبين اسرع الناس سيادة ، واكثرهم مالا ، واقربهم من الامراء مجلسا ، يغشون على عقول الناس فيسودون

وهكذا أولئك الثرثارون المتفهبون يتبجحون بالعلم ، ويحفظون مسائل يحتاجون بها خصماءهم وان هم الا يجادلون فبذلك يهابهم الناس ويخافونهم ، وهكذا أولئك السبابون الذين يحتاجون اقربائهم بحجج ملوثة بالشتم ، وملطخة بآثام الغضب ، فأولئك لهم حظ قليل حتى اذا حصحص الحق وزهق الباطل ، وقف الناس على مرامهم ، وأطلعوا على دخالهم وأغراضهم ، رموهم من حالق وزجوا بهم في سجين الازلال كأنهم زبد احتمله الماء فيذهب جفاء (لا ينتفع به) ، وأما من ينفع الناس ولا يرائي فذلك سيلاقي في ابلان عمله عوائق جمّة ويعاديه المحبون ، فاذا سار في اخلاصه وجد في أعماله فله عقبى الدار ، وهو السيد الذى أشبه النخلة الباسقة طال أمدها وكثر ثمرها ، الا ان الثمرات على مقدار الأعمال ، ولذلك نرى رجال الحروب من القواد العظام ، والملوك الكبار ، تسير بذكرهم الركبان سريعا وتخبو وتنطفئ سريعا أما الحكماء والفلاسفة فما أبطأ ذكرهم ، وما أدوم فضلهم ، فهم كالنخلات الباسقات وكالماء (وأما ما ينفع الناس فيمكث في الارض) ليسقى الحرث ويروى النسل ذلك مثل اللوفة والنخلة ضر بناته مثالا للناس لعلمهم يتذكرون



﴿ ضوء الكهر باء نهاراً في مركبة الترام ﴾

سارت مركبة الترام في اليوم وبينما هي سائرة إذ سطع نور بهيج أزرق
أصفر بين العجل والقضيب الترام يجرى والناس يطلبون غاية يسعون
لها في أعمالهم ، وهم مجدون ، فاشرق نور الكهر باء . من الحركة
بين المركبة والحديد الممدود تولدت الحركة الكهر بائية السارية في
الاسلاك . الكهر باء خفية غير ظاهرة ولدت ضوءاً ساطعاً ونوراً
بديعاً ذا منظر يسر الناظرين ، سطع النور بغتة والناس لا يشعرون
أنهم كل يوم يشاهدونه كأنه وميض البرق أو نور الكواكب ، ان
له لمنظراً جميلاً وعجيباً خشب وحديد يخرج من بينها نور ساطع ، هكذا
أعمالنا وحركاتنا فيها سر وجمال ، ان في جميع الاعمال سرا عجيباً ونورا
خفياً ، ان في أعمالنا اليومية سر السعادة ان فيها لسوة اذا تدبرناها
وفهمناها قد يتخذ المرء من الضعة عزا ، ومن الألم لذة ، كما اشتق من
الحديد نورا ضاحكاً باهراً فلتكن اعمالنا اقصى من الحديد فان في
باطنها من الجمال ما يظهره البحث فيتجلى لنا جماله فيسر الناظرين الا
أن في نور الكهر باء الساطع ، في الحديد وفي شرر النار المتطاير من
أحجار الجبال ووميض البرق وضياء الفوسفور - ونور الشمس
واضاءة الزيت - وشمع العسل - ودهن الحيوان ذكرى

للإنسان ان النور والجمال يظهران في الاجسام الصلبة والطارئة
والسائلة من الجلاميد والمعادن والنبات ، والحيوان ، والماء ، والهواء
فكيف لا يكون اشراق في أعمالنا ولا سعادة في حياتنا ؟

نعم فيها سر السعادة لمن فطن لها كما يفطن الساهر ، وقد تغطي
الليل بصلبه وأسدل ستاره ، وغطي كل ما على البسيطة وأغمض الجفون
على العيون يفطن لنجوم ساهرة ، وبروق باهرة ، فيبهره الجمال والناس
غافلون ويسرى بضوئها والعالمون نائمون ، فهكذا في هذه الحياة
ساعات مخبأة ونعيم مقيم لمن يعقلون ، فليفطنوا لدقائقها
وليعلموا انهم سوف يتألون ما به يسعدون ، اذا بحثوا عنها في قلوبهم
وطلبوها من نفوسهم ، فلوؤها حكمة وهم بها موقنون ، وعلى سنتها
يعملون وهم بما يحدث رضون ، مطمئنون « يا أيها النفس المطمئنة
ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي »
« ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم أئمة
ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الارض ونرى فرعون وهامان
وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون »

ان في هذه الآية لبشارة الضعفاء الامم ان سيمن عليهم بان
يكونوا لانفسهم قادة ، وان لهم الحق في ادارة بلادهم فلم الشورى
وعلى الملوك طاعتهم وسمعيهم يطاؤون لهم الرؤوس ، ويخضعون
لجبروت اولئك الضعفاء ، ويخرون سجدا لما يؤمرون ، وفي قوله
تعالى (ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون)

إشارة الى ما يصنع الملوك في طريق ضعف الامم من العقبات
ويحرمونهم التعليم حذر ان ينالوا قسطا من العلم ، وقبسا من نور الله ،
وبصيصا من بارق الآمال فيطؤونهم بكلا كلهم ، ويباعدون ما
بينهم وبين نور الله الفائض على العالمين ، فوعدهم الله أن سيرى
الظالمين قوة الضعفاء التي خافوها وعلمهم الذي منعه ، وحرمتهم التي
حذروها ، فيرفع قوما ويخفض آخرين ، ولقد صدق الله وعده
ونصر عباده المساكين وأقامهم على ساداتهم أوصياء فاصبح امر
الشورى مطاعا في اكثر الامم الراقية والغريين فيا ليت المسلمين
علموا ذلك وقاموا به ، فنبذوا الملوك الخائنين وكبلوهم وجعلوهم
حصيدا خامدين ،

- ٥٩ -

﴿الملايس﴾

اليوم نظرت الملايس . انا كل يوم اشاهد اللابسين اننى وسائر العقلاء
لا تفتأ كل يوم نرى اخواننا وابناء بلادنا وجميعهم لابسون لا احد
في نوع الانسان لا يلبس ولكنى في هذا اليوم اتخذت الملايس كأنها
درس الحمد لله ان كل مشاهد امامنا يجهل العامة سره ويرى المتأمل
فيه حكمة سرت في شارع الركبة اذا اناس في الطريق هذا له حلة
بيضاء يغشيها ثوب اسود وراءها شاب ذو ثوب اسود وهذه امرأة

ذات قميص ابيض منقوش بالزرقة وفوقه ثوب اسود وراءها رجل يحمل (خبازى) ليطبجها وراءها فلاح ذو « كساء اسود » وهكذا تجلت لى هذه المناظر فخيّل الى ان معرضا عظيما ومحشرا تعرض فيه انواع ازهر البواسم من احمر كالمرجان وازرق زاهرا وايض يققا كالجوهر المكنون واخضر كالزمرّد ومنها ما يشبه الطيور التى ابيض ذنبها واسود ريشها ، ومنها ما هى خضراء أو صفراء او حمراء ، من كل ذات لون او الوان . الانسان عرضت فيه اصناف المخلوقات عرضا ظاهرا واضحا بدت فى ملابسه وكأنه اذ قام مقام العالم فى العبارة أراد أن يعرضها مصبورة فى ملابسه ، انه لم يدع زهرة ولا ثمرة ، ولا حيوانا ولا نباتا ، لها لون من الالوان الالون ثيابه به وجعله حلية له . كل نوع حيوان او جنس أو طائفة يلزم لونا خاصا له بعض الملازمة والانسان لون ثيابه بسائر الالوان فلم يلزم طريقة ريش الطائر ، أو جلد البهايم أو فلوس السمك بل تنوعت الوانه - كما تنوعت لغاته ، لاضرورة للغات الالافهام ، ولا معنى للثياب الال للوقاية فاخذ الانسان فيهما بالتحسين حتى صور فى ملابسه كل لون وزينة حتى انك لترى الطربوش كقفزعة الديك « وهى حمراء على رأسه » لهذا قال بعض الفلاسفة ان الانسان ليس نوعا واحدا كسائر أنواع الحيوان ، الا انما الانسان انواع بل يكاد كل فرد منهم يكون واحدا فى نوعه لا يشركه سواه ، والا فلماذا تختلف الملابس واللغات ولا يختلف ريش النوع الواحد اولغته أو الطائفة من النوع فى سائر الحيوان ونوع الانسان لون ملابسه ونوع لغاته وهذا من العجيب

﴿ كبر النفس وصغرها ﴾

« ان من الناس من لا يفهمون كيف يكافئون بالجميل »

يصنع معهم الجليل فيجهلون أنه معروف ، لماذا ان لهم نفوسا
ضعيفة تتلقى الاحسان من الناس كما تتلقاه من السحاب والشمس
والقمر ، يجلسون في الشمس ، ويستضيئون بالقمر ويستسقون السحاب
وياكلون النبات ، وهم يجهلون الاحسان ومصدره وربما ذموا السحاب
فقال أظفاهم عيب عليك ايها السحاب ان تمطر والشمس طالعة ،
وتراهم يستقبحون الارض فاذا ذموا انسانا قالوا هو كالارض دلالة
على انهم لها مستصغرون ومحتقرون ، مع انها امهم ومصدر ثروتهم
عليها حياتهم ومنها يولدون واليها يعودون ، انهم منها هذا امر واضح
بديهي ولكنهم لصغر عقولهم (وقد بهرهم الاحسان وغمرتهم النعم)
أعمتهم لانهم لا يفهمون الجليل الا اذا منع ، ولا المعروف الا حيث
يتبع بصنوف المخازي والمكاره ليعرف الفرق بين الحالين ،

ان ذوى النفوس الصغيرة عند الالاء والنعم كمثل الخفافيش
والبوم يبهرها نور اشراق شمس عموم الاحسان فيغشى على أبصارها
فلا تفقه له معنى الا انما يعرف المعروف ذوو النفوس العالية لتذوق
طعمه وتقيم له وزنا فلا تتل ذوى النفوس الصغيرة النعم الا بمقدار ،

وأخلص في أعمالك وزن كل ما تعمل وما تقول
 كلما قربت نفس الانسان من الله أحبته وأخلصت في خدمة
 الامم ، ولا يهيم بجلاله الا ذوو النفوس العالية ، ولن يخدم امته ويجد
 في منافعها الا ذوو النفوس السامية ، الا انما شكر الخالق فعل المصالح
 العامة الا انما يزاول المرء من العمل على مقدار همته وهمته على مقدار
 علمه ، وعمله على مقدار علو نفسه وقل اعملوا فسيرى الله عملكم
 ورسوله والمؤمنون

- ٦١ -

﴿ شيخ في الطريق يبصق ويمتخط ﴾

رأيت شيخا سائرا في الطريق يبصق ويمتخط ، ولكنه في حال
 تنافى الوقار يتمايل يميناً وشمالاً ، بصق وامتخط فلم تعجبني هيئته
 ووددت أن يزن الانسان حركاته في السراء والضراء ، والخير
 والشر ، ان حركات الانسان موسيقى فليصلح المرء موسيقاه ، لينظم
 أوزان حركاته وكلماته ليسر الناظرين ويطرب السامعين



﴿ الملابس والعلوم واللغات ﴾

قلنا فيما سبق ان الانسان لبس من كل لون فلم يدع ريش
 طائر ولا جلد حيوان ، ولا زهر نبات الا لبس ما شاكله في الالوان
 هكذا قد كل صوت من اصوات الحيوان وغوير الاعشاب وحفيف
 الارواق ، ورنات الغابات في اعماله الموسيقية ، وهكذا حفظ عقله
 نواع العالم فحزن صورته وجمع أشكاله في خزاناته فما أشبه لسانه بعقله
 وما اشبههما بلباسه

أيعاب الانسان على تغاليه في جمال الملابس والزخرف والزينة ،
 ايزول عنه وصمة النفاق ، ايصل الى نعيم الحياة ؟ لا ريب انه كلما
 كان اجتماع الانسان اكثر زاد في زينته الظاهرة ، ألا ترى العروس
 وبعليها ، والمملك وجنده ، والامراء وأعوانهم ، والعلماء وتلاميذهم
 كل اولئك يحسنون ملابسهم ، ويزينون ظواهرهم ، ويتعطرون
 ذلك لتألف الانظار اشخاصهم ، وتعشق النفوس مناظرهم ، وتهوى
 حاسة الشم رواائحهم ، انهم في الجملة لا حسن اخلاقا ممن عداهم ليحسن
 الاخذ منهم والعطاء ، ذلك كله لمكان الحاجه والاجتماع ، ألا ترى
 الاشجار تكون خضرة نضرة وقت الربيع اذ تأوى اليها الحشرات
 لتكسبها الالفاح ، فتكون الثمرات اذ تطوف الحشرات فتعشق

الازهار لبها ، وتهوى روائحها العطرية فتعتمد اليها سرا ،
 فاذا ادبر الربيع وتولى ، انتهى دور الثمرات وذهب شباب الازهار
 وأخذ الحسن في الزوال فبفس الدهر وبسر للاوراق والاغصان
 فالجمال فيها لمنافع عالية وما رب غالية ، وهي اجتناء الثمرات من
 التزاوج المرغوب المحبوب بيهجة الحسن وطيب الرائحة المشوقة
 للفراش ، هكذا الانسان كلما كان أكثر اجتماعا كان أميل إلى
 حسن الزينة والجمال وان خبث الطويات وساءت النيات ، وفي
 خلدى أنه سيأتى على النوع الانسانى يوم يضاهى فى إشراق جمال
 أخلاقه جمال النجوم وبهجة القمر والشمس ، ويحاكى فى ملابسه
 زينة الازهار وبهاؤها والاشجار وجمالها ، وتقوش ريش الطير
 وزخرف جلد أبداع الحيوان ولا يبقى ذو خلق سيء ولا قبيح الهيئة
 فانا نرى أن كل حيوان ونبات أعطى خلقه وجماله فاما الانسان
 فلم يزل كما قال الله تعالى (ظلوما جهولا) يسعى فلم يتم جمال
 ظاهره ولم تحسن سريره ، فله وجهان وجه يقابل به الناس ووجه
 يقابل به الحقيقة ولن يكون الناس أناسى الا متى جمل الباطن ، فلا خيانة
 ولا كذب وجملت الملابس فكانت زهورا باهرة ، وذكت رائحتها
 ففى بهية عطره ، هنالك يشرق وجه الانسان ويكون فى أحسن
 حال وابهج نعيم ، اما الموسيقى فسيأتى زمن تصبح فيه الآلات
 البخارية جميعها مطربة ، اذ يركبون فيها آلة موسيقية تتحرك بحركة
 الآلة وكل آلة حركتها نوع من الموسيقى فتكون طربا للعاملين

وتنشيطا للكاملين ، ونهضة الاعمال هكذا سيكون وهكذا سيسعد
الانسان بعد حين

- ٦٣ -

(ليلة ٧ نوفمبر سنة ١٩٠٩)

﴿ دعاء الامة ﴾

يا الله اهدي قومي الى سبيل الحكمة والموعظة الحسنة ، وابد لهم
بالنكت المضحكات ، عشق العلوم ، وحب المعارف ، يا الله اني قلما
يسرنى مجلس في بلادى وقد اصادف من علت مداركه ، وحسنت
عبارته ، ويندر أن اعثر على عشاق الحكمة والعارفين ، يا الله قلت
المدارس والدروس ، ولا نصير لقومي ، فاجعل اللهم لهم منك ومن
أنفسهم نصيرا ، اللهم ارني مجالسهم خاصة بالعلماء والفضلاء ، وذوى
التجربة ، وقل اللهم من أولئك المتفقيهي المتشدقين الذين مثلهم كمثل
فقهاء القرى يحفظون مسائل صغيرة ويتباهون بها في المجالس وهم
عن العلم معرضون ، وباللهو والباطل مغرمون ، يا الله لقهم من لدنك
حكمة تبعدهم عن الفرح بدم من يحبون العلم والحكمة حسدا وبغيا
ان ينال غيرهم من الله فضلا مبيتا ، يا الله لهم أهل العلم والحكمة
أن يعلموا اخوانهم ذوى المال ويدلوهم على سبيل رقى البلاد في
الدارين ، يا الله اجعل لقومي كرامة بين الامم وازل عنهم الحسد
والكرامة وحب الرئاسة والبخل بالمال والاعجاب بالنفس والتواكل
انك على ما تشاء قدير ، يا الله علمهم ان الرجال بالاعمال

- ٦٤ -

(ليلة ٨ نوفمبر سنة ١٩٠٩)

﴿ المرض يمنع الحكمة ﴾

اعتزاني مرض منذ ليلتين منعني الكتابة ، كنت أراني صحيحاً
ولكن قلبي لا يستطيع التفكير ، لسانى لا يسرع القول ، وقلمى
لا يحسن التحرير ، وعرفت نعمه الصبحة ، وفهمت آلاء الالهام
وكيف يلهم المرء فى لحظة ما لا يلهمه فى شهر فلما أن سرى عني
أخذت القلم وكتبت هذا ، فلا تنهزن فرصة صحتى وأقيد ما يلقى
الى قلبى من المسائل والله ولى التوفيق

بيننا انا اكتب هذا طنت بجانب اذنى ناموسه طنيناً فيه
رنة الحزن والالم ، اذكرنى ذلك زمن الصبا ، اذ كان طنينه فى
الخلوات بالليل يوحى الى قلبى جزناً على الجهل ، وكاننى كنت أسمع
منه رنات الماتم على هذه الدنيا وعقول اهلها وكيف يجهلون سر
الوجود وهل لها آخر ، وهل هذه العوالم ممكنة العلم ، أم هى عبارة
عن دار تضل فيها العقول وتتحير الافهام ، فكان ذلك الرنين رنين
أجنحة الناموس ينفذ الى قلبى معانى تحوم حول ما ذكر ، فيحدث
فى نفسى الما للجهل ، وحزنا وحسرة على النفس



﴿ لا تعط الحكمة ولا المال الا بنظام وتدريج ﴾
 اذا أعطيت الحكمة لغير اهلها ، كان علمت الصغار نهايتها بالحكمة
 انا لوك الاذى هكذا اذا امددتهم بنعم الدنيا فهم يهينونك متى كانت
 فوق ما يستحقون ، ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض
 ولكن ينزل بقدر ما يشاء (انه بعباده خير بصير) على ذلك يجب
 الا يملك الفتى مال ابيه حتى يملكه ابوه في حياته طاقة من ماله
 كبيره ، والا يفاجأ البنون به دفعة واحدة والا هلكوا وضلوا ،
 فليكونوا اعوانا لا بائتهم في حياتهم الدنيا حتى لا نغشى على ابصارهم
 غشاوة من النعم ، فتسكرهم خمرة لذتها ، ويبيعون ما يملكون لانهم
 لا يعلمون له وزنا ولا يفهمون له معنى ، هذه القضية صادقة . ألم تر
 الى الشمس اذا طلعت والليل اذا ولى ، فان الاصبح يتدرج من
 نهاية الليل الى مبدأ الصباح ، وهكذا الاظلام لا يفجأ الناس مرة
 واحدة ، كذلك الموت لا يفجأ الناس غالبا ، وانما يكون المرض
 قالموت ؟ هكذا العقول لا تكون مرة واحدة ، فالصبا ثم المراهقة ثم
 ولو ان الطفل اصبح رجلا بلا تدرج لذهل ، هكذا الرجل الفقير
 اذا فاجأه كثر فانه ينهر ، وربما يموت ، هكذا يقال لو ان الاكمة
 ابصر فجاءه جمال العالم لدهش فمات ، هكذا البناء فليدرجوا لحفظ
 اموال آبائهم في حياتهم والا اصابهم الطيش والجهل وضاع المال



(ليلة ١٠ نوفمبر سنة ١٩٠٩)

(حكمة الله في جسم الانسان)

قال لي فاضل من الاطباء - لقد أنى الطب الحديث بالعجب العجيب ودهش اطفال العلم المادى وخضعت رقابهم ، ردلوا للحكمة الفائضة على علماء الشريعة ، قد كانوا يقولون ان فى الجسم بقايا من حيوانات تسلسل منها الانسان ، تلك البقايا لا قيمة لها وليس يقام لها وزن ولا حساب فى علم الصحة وعلم المرض ، كمثل غدات فرآزات تحت الجلد الكاسى لحلمات الخنجره ، هكذا غدد اخرى بين الفك والرأس كغدة اخرى فوق الصفراء ، وكالكبد والامعاء الغلاظ ، لقد كفر اطفال المشرحين من قبل عشر سنين فقالوا ليس لهذه الاعضاء معنى ولا غاية لها ، الا انها بقيت موروثه عن حيوان كان لها فيه معنى ولا غاية لها فيه الا آن ، فانعكست آياتهم وخروا سجداً ذلك ان الغدات الفارزات فى الرقبة ترم فى كثير من الناس ، فاغتاظ منها احد الحكماء فازالها فلما ان خلا منها الخنجره اصبح الرجل ابله لا يفقه ولا يعقل وينزل اللعاب من فمه بلا ضبط ولا حساب فلما ان ادخل فى الجسم نظيرها من حيوان آخر شفى المريض فاما ما بين الفك والرأس ، فانها لما انتزعت غلظت اليدان والوجه وصلبا وكبرا حتى صار الوجه قبة مصغرة واليدان عمودين مصفرين ، فلما أن وضع نظير الغدات من حيوان آخر فى الجسم رجع لسيرته الاولى ، هكذا غدة المرارة اعقب انتزاعها ان صار الجسم نحاسيا ولما رد فيه نظايرها رجع لسيرته الاولى كمثل الطحال اذ اعد مخزنا للدم لاقترابه من

المعدة ، فهو يتقبل ما تطرده من الدم اذا انفصلت وانكبت على اعمالها الرسمية من هضم الطعام ، فاذا نشطت وارادت استرداد امانتها الخزونة في الطحال ردت اليها سريعا ، وللطحال فوائد كثيرة ، فهو مصدر الكرات البيضاء وهي حيوانات صغيرة كانها الشرطة للملاقة الامراض في الجسم ، كالجروح والجروح فانها تبني عليها طبقة من انفسها ثم نخيم عليها طبقة اخرى ، وله فوائد شتى ولو علمت ما عثروا عليه من فوائد الامعاء الغلاظ وكيف كانت ذات غدد تفرز مواد ، وترسل من لديها دما يسير في الدورة الدموية لتغذية الاجسام وكيف كانت محولة لبعض السموم الى مواد نافعة ، فبطل ما قال صغار المشرحين ، واصبحوا اليوم اطفالا ليسوا من العالمين ،

٦٦

(أترقى للانسان أم تنزل)

المدينة آخذة في الرقى وما ادرى الانسان آخذ في الرقى أم التدلى؟
يطلع الناظر على الملابس في الاثثار فيرى جلودا فملا بس خشنة
فمتقنة الصنع شيئا فشيئا حتى يصل للعصر الحاضر؟ شرفت الصناعات
فبهرت العلوم ، ولكن هل ارتقى الانسان؟ انا لا ادرى ، أفى
العلوم والسياسات وهما يحولان بينه وبين قلبه ، فالوجدان
مضروب به عرض الحائط ، والاخلاص والفضيلة مزدريان ،
وللتناس على عقولهم اغشية ونفوسهم ومن يسرع في المراوغة والمحاولة
والكذب ولبس الوانا من الدهان كما يلبس الوانا من الثياب ،

فذلك الذى يشار اليه . أم فى الصحة والاعمار فى المدن أقصر منها
فى البادية ، شاهدت شيخا يعيش مائة وعشرين سنة وآخر يعيش
ثمانين وهما قويان فقال الاول ان هذا ولد وشار للثانى ولا صحة
للمتفرين ، أم فى القوة وهى ربيعة الصحة ، أم فى العقول وصحة
الحواس والغرائز ضالة ضائعة بين انواع العلوم ، اللهم ما ارتقى
الا انواع الصناعات والثروة

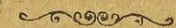
- ٦٧ -

(١٤ نوفمبر سنة ١٩٠٩)

(اختراع العالم شعاع من ابداع الله)

كما أن اجمل العلوم واعمها نفعاً ما اخترعته العقول من الروايات
وما فيها من الامثال والحكم وعنهما تصدر الامم والاجيال هكذا
كان هذا العالم مخترعاً بذى حكمة فكان عجيبياً فى وصفه ، بهياً
فى رونقه

أشكو اللهم اليك سوء اخلاق الامم ، يخلقون العهد ، ولا
يوفون بالميثاق



- ٦٨ -

(العلم والعقل)

يولد زيد فتضرب المدافع بشرى لمولده ، وتقرب القرايين وتقدم
الهدايا ، ويولد عمرو فيقال هو ولى العهد ، ويرث خالد المال وهو

لم يدر ما فوائده ، ويكون الرجل فقيرا فيزدلف الى عظيم ، فيجعله
 في مصاف الاغنياء ، فلان وضعه فيرفعه اقترا به من الامير ، كل
 ذلك مشاهد ليس له قانون معروف ، ولا حد موصوف وانما هي
 امواج بحر متلاطم ، وهبات نسيمات في اهواء وذئاب وغزلان واسود
 وافراح واحزان ومسرات وآلام ، مسرات لقوم ، وآلام لا آخرين
 تلك سنة العالمين ، ولعمري ان ما تكسبه الزلنى وتقربه القرابة من
 المال والجاه معد لان تذهبه حوادث الايام وصروف الدهور ، فما
 اعطاه الزمان فانه لحب اخذه لشديد ، اعز الامور ما جاء بلا شفاعه
 ولا جاه ، الا ان العلم والحكمة لا ينالهما الا العاشقون ، ولا تنفع
 فيهما شفاعة الشافعين ، وان يقدر ملك ان ينيل ابنة الحكمة وعقله
 ياباها ، ولا يتسنى لغنى ان يرشى المعلم حتى يملأ دماغ ولده وهو
 غبي جهول ، ألا لا يستطيع احد ان ينال الحكمة والعلم الا بنفسه
 صافية ، وقريحة وقادة ، وطلب مستمر ، وسهر دائم ، ان ذلك هو
 العدل الالهى والوزن الحق ، والصراط السوى ، الا انما الباقي
 للنفوس بعد الموت من الاحوال اعزها ولا يدوم الا اقربها
 للعدل ، وابناها على الصدق ، وابعدها عن الظلم ، واولاها في الشرف
 وأرفعها وأقومها ، ألا لا يبقى للناس الا الحكمة والآراء والاخلاق
 والعقول والاعمال ، فهي الباقيات الصالحات وهى خير عند ربك
 وخير املا ، ينصب الملك من الملوك ، ويسرق المال من الصندوق ،
 ويداس على شرف الشريف وقد يزجون جميعا فى السجون ولنى
 تسرق الحكمة من نفوس العالمين ولا تنصب العقول من ادمغة الاذكياء
 الفطنين ، بل لكل نفس ما كسبت ذلك هو الفضل المبين ، هكذا

سابقى العلم والعقل صلتين بينا وبين الله العدل فى دار الخير مقرونين
بالاعمال والاراء ههنا ظهر العدل الالهى ورتبت النفوس وصار
الناس فى حضرة العلم صفوفًا منظمين وما ربك بظلام للعبيد

(١٦ نوفمبر سنة ١٩٠٩)

رب قول اتخذ من صول ، خاطبنى صاحب فى شان معترض
على فى الكتاب ، فاثّر قوله تائيرا قويا فى نفسى ، وقد كنت
اعلمه من قبل ذلك وقرأته ولكن للقول سلطان : ولصوغ القول
من التائير على النفوس ما لا يفعله الكاتب بكتابه : لهذا كان الانبياء
عليهم السلام دعاة باقوالهم وحديثهم وفى نواديهم يسامرون الاصحاب
ويجادون الخلال ويأسرون العقول بسحرهم الحلال : ويتصرفون
فى الارواح تصريف القدرة لليدين واليدين للعلم والقلم للكتاب :
ان فى القول لسرا عجيبيًا : الحقائق مشاهدة للناظرين معلومة للعاقلين
ولكن للقول مزية عظيمة : القول سلطان النفوس وكهرباء العقول
وشمس الارواح تنبعث منه حرارة وتنفذ منه اشعة وضاعة تحل
المعقود من الاعمال وتعقد المحلول من الآمال وتبرم المسحول (الخيطة
المفرد) وتعزقوما بحكمتها وتذل آخرين بطولها فهى خافضة رافعة
كمثل حرارة الشمس تقع على الادهان فتسليها : وعلى الطين السائل
فتجمده : هكذا الاشعة الساقطة من الكلام

(٢٥ نوفمبر سنة ١٩٠٩)

مضت أيام عدة لم اخط فيها حرفاً ولم اعمل عملاً قط الا
دروس المدرسة ، وذلك لسلامة في النفس ، وضعف في القوة ،
وخطر لي أثناء ذلك كله ماياً قى ،

(١) اليوم لمحت أشجار عابدين وقد ماست وقت الظهيرة والنسيم
يتلاعب باغصانها ، فكان فؤادى يهتج سرورا ، وقلبي فرحا ،
وقد شاهدت من النافذة السماء والجو والطيور مسخرات في جو السماء
ثم ذكرت ما يتألب من الاعداء على العلماء وما يقذفون من السهام
النافذات والسيوف الصارمات فقذف في قلبي ان الناظرين بالعقل
أوسع نظرا وادق فكرا ، لانهم يتلقون الحكمة في اكناف الارض
الواسعة وهم محصورون في مضايق من الافهام ومزال من الاوهام
تذكرة - نظرت النجوم ليلة اذا هي زاهية زاهرة ، ومن عجب
انها حاضرة بضوئها غائبة بحجمها ومكانها ان النجوم وان تباعدت
فهى قريبة للعيون هكذا الله عز وجل قريب منا بنوره وعلمه ،
وان تعالى عن المادة وتقديس عن الاجسام وهكذا العلماء اذا غابوا
باجسامهم وطوت الارض اصداؤهم في لحودهم ، برزوا للقلوب
واضاءوا في البصائر

(٢) سأل سائل عن المادة وعن الجزء الذى لا يتجزأ فقلت
للعرب والافرنج مباحث في هذا المقام والفريقان متفقان بعد البحث
والتنقيب ان المادة ما لها الرجوع لاصل لطيف روحانى عند
الاولين ، وكهرباء وضوء وحرارة عند الآخرين ، قل ان الاولين
والآخرين لجمعون على رجوع المادة لاصل لطيف بعد ان تحظى

الفرقان الجزء الذي لا يتجزأ وهو ليس متجانس الاجزاء كما تصنع
من الحديد فاسا ، ومن الخشب بابا ، وكذلك المتجانس ، كما صنعنا
من الخشب سريرا وكرسيا ، ثم تعدوا ذلك كله ووصلوا الى القول بانه
مادة بسيطة لطيفة ، ومن عجب ان اقل الاشياء يقبل القسمة بلا
نهاية ، كالحوانات الصغيرة المسماة مكروبا فلعل في باطنها من دقائق
الحيوان مالا تدركه الاوهام ولا تعقله الافهام وهل يقف العقل عند
امد محدود هكذا ترقينا الى الاجرام العظيمة والهياكل الكبيرة من
الاجرام السماوية والنجوم العظيمة ، واعدادها فانها قد تبلغ ٢٣
مليوناً وفي السماء من الكواكب في المجرة ما يدهش العقول ويحيرها
ويستحيل على الناس ان يصلوا الى استكشاف جزء من ملايين الملايين
منها ، وقد حجبنا عنها فما اجهل الانسان وما ابعده عن
العلم والحكمة ، ان الانسان لظلم كفار ، ألم تر الكواكب كيف
عظمت احجامها وبعدت في اقطارها واسرعت في سيرها وكثرت في
عددها فلا عظمتها ادركنا ، ولا بعدها حسبنا ، ولا اقطارها وصلنا ،
ولا اسراعها عرفنا ، تعالى الله في العظيم والصغير ، وتقدس في
الجليل والحقير ، وتكبر ان يعقله العاقلون ، ويدرك كنهه العالمون ،
فقال السامعون وكيف حيرنا في عظمة الخلاق . فقلت هذا هو الجمال ،
ولن يبر الجمال الا اذا حارت فيه العقول فغضلت في دقيقه وعظيمه ،
وجلاله وجليله سعادة الناس في عقولهم بما يحيي اجسامهم وما
ينميها في حياتهم ظاهرها نحو الاجسام وباطنها رقي العقول فهي
مناط حياتهم ومبدأ خلقهم وبالا اجسام يكتفى الجاهلون ، وذووا
العقول العاليه يسعدون ارواحهم بتعقل النواميس الطبيعية ، والحكم
الملكيه ، والعجائب السماويه ، والبدائع الارضيه ، كما ان اجسامهم

تتغذى بما ألقت الارض ويروون بما انزلت السماء من ماء فما نفع
الاجسام عشقته العقول

٧١

(١٢ ديسمبر سنة ١٩٠٩)

اليوم جلست بساحة بركة القيل وامامى شجرات ناضرات
ونخيل جميل ، فقلت ان فى الدنيا لجمالاً ، ان فيها لحزناً ويأساً ،
وألماً ثقيلاً ، الدنيا جنة العارفين بحكمته الناظرين لنظامها الواقفين
على حسنها وجمالها ، الدنيا جنة عرضها السموات والارض للعارفين ،
ونار كلها عذاب وسعير على الجاهلين الدنيا ، نعم المفكرين ، ولظى
الغافلين ، الدنيا لا يتمتع منها الجاهل الا بشهوات الحيوان ، وزهو
الطاووس ، واقتناص الاسد ، ويسرح العالم فى حكمها وجمالها ،
أرأيت لو أن روحا فى عالم آخر فذكر لها الجلال فى هذه الدنيا
ماذا كانت تقول ، انها تسارع الى طلب السياحه فى عالمنا بطريق
الولادة والسير معنا فى سبيل الحياة ، ولئن احبت ارواح هذه
الحياة لزخارفها الظاهره ومشاركة الحيوانات فى ما كلفها ، فكم
من نفوس قدمت الى هذه الدنيا لتدرس علومها وتفهم عجائبها
وحكمها : وترجع الى ربها راضية مرضيه ، الا ان الحياة سر
مصون مكنون وطمس محجوب نحن فى الدنيا سائحون أو عاشقون ،
وكل يصطفى لنفسه ما يشاء فمن شاء كان حيواناً بهيماً ، بالشهوات
ومن يشاء كان اسداً فى الغابات ، ومن أراد فليكن ملكاً من
ذوى الفضل فى الامم ،

﴿ التراب أغلى من الذهب ﴾

في تاريخه - رجعت اليوم من المدرسة فعثرت بحصاة فذكرت
 ما يخيل للأطفال وصفار العقول من حبهم العثور على كنز تحت
 الارض مملوء من القناطير المنظرة من الذهب : ويتمنون لو يتاح
 لهم السعادة والهناء بمثل تلك المصادفة العجيبة : حتى يكونوا اغنياء
 بالمصادفة ثم كيف تكون المصادفة خير عون على الاثراء بلا تكلف
 مشقة ولا مزاوله عمل كالوارثين والمتمتعين للرؤساء : الا ان الدرهم
 والدينار آيتان من آيات الثروة يجلبان لصاحبهما ما يشاء على مقدارهما
 ولكن كم من ظلم يقع في الحياة والاحياء بسببهما وكم فتي عثر على
 كنز فاشترى به العقار والديار : وهو ما خرك له يدا ولا نقل له
 رجلا : ان الانسان لما خرج عن الفطرة الاولى ونزع الى التوسع
 في امور الحياة ونظام المدينه اعوزه خاكم صامت بين المتبايعين :
 وحاكم متحكم بين المتقاضيين : فالصامت الدرهم والدينار والمتحكم
 القضاة والملوك : فصارت النقود حجة لاصحابها قائمة سواء اكسبوها
 بانفسهم أم عثروا عليها : الا ان الانسان اضحى في ظلمات من
 الجهل كم يفرح المرء بالنقد الموروث : والذهب المكنوز : وهو لا
 يغني عنه شيئا لولا اعتباره في الدنيا : وما للنقد غير الحكم بالفضل
 أو الخسران : الا وان الناس ليجزعون لفقد النقود ويفرحون لو فرتها
 والحياة قائمة بدونهما والدنيا طافحة بالخيرات لعدمهما مع انها لا
 تمن ولا تغني من جوع : بل باعتبار حكمها وقضائها يرى المتبصر
 العاقل ان تراب الارض وذرات الهواء اعلى قيمة وأغلى
 ثمنا وارفع قدرا من النقود : الماء ينمي النبات والتراب يمسكه : ان

تراب الارض أضوء وابقى في عين الحكيم من الذهب والفضة :
 الناس لا يفقهون الا ما قرب من حواسهم : والخاصة يفقهون بعقولهم
 ويدركون بصفاء نفوسهم : ان طائفة من التراب اخرجت من النبات
 ما يربو على الكنوز المكنوزة والقناطير المتفطرة انها تنبت كل عام
 لا تقتا تلد لنا حياة لا تزال تخرج لنا قوتا هكذا كل عام على الدهور
 ومر العصور : فيها الحياة وفيها المادة ، ما الذي في المال انما هو حكم
 يقضى أو حجة مع صاحبه يستدل بها على استحقاقه لما انبتت
 الارض وما صنعت الايدي فالتراب اعلى ، واعلى من الذهب بل
 لا وزن له بجانبه ، ما أجل الحكمة وارفع العلم كم في الدنيا من ظلم :
 ومن اظلم ممن ينقص قيمة التراب عن الذهب اكثر الناس لا يعقلون
 الا ما يحسونه بحواسهم الخمس : وهم عن النتيجة غافلون . الا وان
 في العالم لظلما وظلمات الا وان فيه لميلا عن الحق وجنفا عن العدل
 كذلك عدل الناس عن الحق والصدق في سياساتهم وحر بهم وسلمهم
 واتبعوا القوة ونبدوا الصدق ظنوا المال هو الحياة فعكفوا على
 اختزانه ومنهم من يجمعه من جل ومن حرام : ومنهم من بحث عنه
 في ثنايا الاحافير : ومنهم من اتبعه في علم الكيمياء فرجع بخفي حنين :
 كل ذلك ضلال : ووبال ينفع شخصا ولا يفيد المجموع ولو ان
 هؤلاء صرفوا همهم لاستنتاج الحياة من الارض مثلا لا قادوا المجموع
 وكما في المقامر من واهم أو خادع أو مخدوع ، وهم عن آيات الحياة
 معرضون ضل الانسان وغوى وزاغ وطنى خرج عن العدل في
 طلب الرزق وضل في حياته السياسية ومال الى استرقاق اخيه
 وضر به وظلمه فاعتصب ماله وقامت امة تضرب امة وتسلبها مالها

بل تجاوزوا ذلك الى ما وراءه ففرضوا الاعناق ، وشدوا الوثاق ،
وامروا بالتجافي عن الحكمة ، والتباعد عن العلم ، وقالوا لا
تساعدوا على العلم ولا تنشطوا للحكمة ، وهددوا واعدوا لئلا
يفطن اخوانهم في الانسانية فيحرموهم من موارد الرزق الاتية اليهم
من تعبهم : وعرق جبينهم الا ان الانسان اليوم لفي ضلال مبين :
تأمل كيف كانت الحصاة اذ عثرت عليها مذكرة للنقود المرغوب في
استخراجها وكيف اكب قوم عليها وقارناها بالتراب والثروة وتمجيد
الناس للنقدين : وكيف عكفوا على القمار والكمياء القديمة والكنوز
المدفونة وكيف كان كثير ممن حازوا النقد لم يقيدوا الناس شيئا
ولكن الفائدة الحقه في خيرات الارض والصناعة : وكيف انتقلوا
الى ظلم الحيوان فالانسان فاذل بعضهم بعضا فعاشوا في نار السعير
وحياة الشقاء ومن فروع هذه المسالة الربا فلعمرك لا نجاح ولا فلاح
الا بترك الربا انما الربا ربح بلا منفعة للنوع الانساني لا خير الا
فيما انبتت الارض او انتجت الصناعة وسوف يفهم الانسان هذه
الحقائق بعد حين

٧٢

﴿ حماريا كل كلاً وعشياً ﴾

هذه قاعدة درج عليها الامم المعلقة التي لا هي شرعية نائمة ولا
غربية يقظة ترى ابناءهم ينامون على الارائك متكئين اذا اتوا
ثروة أو ورثوا مالا يقول احدهم مالى وللعلم : الا انما العلم نتيجه
ملاذ الشهوتين البطن والفرج فاذا وصلت اليها من الميراث فالى

وللعلم واما الفقير فانما يسعى لتحصيله كي ينال قوتا ومابسا فاذا
 حصل عليها ضرب بالعلم عرض الحائط ، مثل الثريقين كلاهما
 والاصم أو كمثل حماريا كل كلا على جسور الانهار ، ذلك مثل
 القوم الجاهلين كلاهما يسعى لما يسعى له الحمار ، كلاهما لا يدري ما
 الجمال وما النور وما العرفان : كلاهما ساء لاه مدبر يعبس ويموت
 وهو اخو الحمار وصنو البعران : فيا قومي ويا ابناء بلادى ان في السماء
 لعبرا وان في الارض لجمالا وبهجة وان في هذا العالم لحكما على نفسه
 فليبك من ضاع عمره وليس له منها نصيب ولا سهم

(١٤ ديسمبر سنة ١٩٠٩)

(خسد الحاسدين ودواؤه)

(١) اليك اللهم اشكو جور الحساد وغيظهم : يقولون اذا خلوا
 مع الموظفين من أمة الانجليز ان هذا الا متعصب للدين فاذا تركتموه
 وشاء انه اثار الثائرات وشن الغارات : ويقولون للموظفين المصريين
 الا انما هو خارج مؤول في الدين : واذا لقوا فريقا آخر قالوا انه
 خلط العلم مع الدين ومزجهما خبط ضائع : اللهم انى ساعمل
 بما قلت لنبيك صلى الله عليه وسلم فاصدع بما تؤمر : واعرض عن
 المشركين انا كفيناك المستهزين الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف
 يعلمون : ولقد نلم انك يضيق صدرك بما يقولون فتسبح بحمد ربك
 وكن من الساجدين واعبد ربك حتى ياتيك اليقين وسأديم السجود
 والصدق والاخلاص حتى الموت : وان لنا في رسول الله أسوة

حسنة اذ عصمه الله تعالى فقال (والله يعصمك من الناس)
 ٢ - أرى السماء الليلة غشاها السحاب فهي معتمه قد حجبت
 عنى النجوم الباهرة : ولطالما لحمتها وهي فى العين صغيرة . وفى النفس
 كبيرة . وذكرت جمالها وبهجتها وما فيها من نظمات وحركات .
 وما عليها من عوالم . وما اوعت من حكم . فاستصغرت الارض
 وما حوت . والدنيا وماوعت . وأرى هذه الحياة عرضا زائلا .
 وجهلا بينا . واذكر قوله (قل ممن يملك من الله شيئا ان اراد ان
 يهلك المسيح بن مريم وامه ومن فى الارض جميعا والله ملك السموات
 والارض وما بينهما واليه المصير) فما انا انظر فلا اشاهد الا سحابة
 مظلمة قد البست السماء اكسية على اديمها دكنا وحواشيها بيض .
 أفليس القلوب كالسما والجمال فيها كالنجوم . والسحاب كالموم .
 او الدنيا كالسما . والنجوم كالحق والسحاب كالظلم . فاما السحاب
 فما اسرع انقشاعه كلهم والظلم . ويبقى الحق والجمال للناظرين
 ويعجبني ما ذكر فى حكم مدونة فى مذهب (راجايوفا) ان نهاية
 الارواح الفاضله السعاه وما تقله عن مذهب زرادشت ان بعد هذا
 الشقاء لها سعادته وأن الى ربك المنتهى

(١٦ ديسمبر سنة ١٩٠٩)

بلغنى ان ربات دلال وجمال وهن ابكار اتراب

تجلس احداهن الى جانب رجل وهي ترى يساحر طرفها ، وجارح
لحظها ، سها ما نافذات لتوقع في شراكها من حولها من الاعيان ،
حتى اذا خلبت عقل أحدهم وسلبت لب آخر اخذت تومي بطرفها
وبنائها ان سأتى اليك على عجل وقد ظهر المسكين انها قد فضلتها
على سواه ، وعظفت عليه ومالت بقلبها وروحها ، أو كان خلبها
بجمالها ودهائه ، وكان لا يشاهد انها أومات لسواه وهي في قبضة
آخر هكذا حسرت الامة رجالها وعقولهم ، فضلوا وهلكوا أجمعين
الناس في الدنيا سائحون : فاشرفهم واعلمهم بما يرى في تجواله
واصبرهم على اقتحام المصاعب ومصادمة المخاطر والاهوال

أرأيت لو سالك سائل وانت ذو عقل في عالم غير هذا : وقال
لك هل رأيت ما ذراه الله في العالم من الجمال والاحكام والبهاء في
الارض ان فيها من الجمال ما يحير العقول ويدهش الافهام : فيها
زرع وشجر ذات نظام بديع وانهار وجمال وسما وكواكب بديعة
منظمة الحركات . (وان تعدوا نعمه الله لا تحصوها) ثم انك وانت
فيها سائح ستعثر منك عقبات : وتصادف مخاطر ومضايق : ومصائب
وحب وبغض : وحر وبرد ونسل وشهوات وغضب واعداء : وامم
ودول : وموت واصدقاء . وجروح وقتال وحرب وكل ضد من
الاضداد : كالحر والبرد : والصيف والشتاء : وما شا كل ذلك أو
قارب كالشيب والشباب : وستبتلى في سياحتك بما لا قيل لك به اذا
قيل لك هذا فلا جرم تكون الاجابه من ذى نفس تواقه للحكمه

- ٧٥ -

(٢٨ ديسمبر سنة ١٩٠٩)

حديقة الحيوانات

فيها الاساد محبوسة في اقفاصها . وهى تزار فظننت ان رأيت
الظباء والطيور الجميلة الالوان ، ان اكلة اللحوم اقوى واجراً ،
وذوات الحشائش والحبوب اجمل وابهى ، واستنتجت ان الجمال
الطبيعى ، انما يكسو جسوم الفلاحين الذين لا ياكلون اللحوم الا
قليلا ، فذكرت قول احد الفرنسيين من اراد الجمال فلينطلق الى
ضفاف النيل ، فهناك الصور الحسان التى قد نظيرها من اور وبافلا
يحد المصور ما يجعله نموذجاً لصوره ونبراسا يهتدى به فى العالمين

- ٧٦ -

فى شارع الترام بجوار درب الجماميز ، وجدت رجلاً مغرباً
امامه رمل ، وفى يده كتاب ليصطاد بعض العاجزين الجاهلين
فشيئته بالعنكبوت تقتنص الذباب ، فالرجل العنكبوت ، والرمل
والكتابه شبكة ، والجهلاء الذباب ، فاذا مرجاهل به اوقعه فى
قنصه ، كما اذا مرت ذبابه بالشبكة امسكت بها فالتقطها العنكبوت ،
كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت
لو كانوا يعلمون

الدنيا والسعادة فيها ، جواد لا عنان ، انطلق في عدوه فاتبعه
الناس واستبقوا على مقدار قواهم ، فانقطع الضعيف وسبق القوى
وديس العاجز تحت الارجل فمات وطاوت كسيرا ، وسبق الجواد
فادركه القادرون وهو يعدو ولا ممسك له ، فلا هو واقف ولا
المسرعون خلفه بمنتهين

- ٧٧ -

(٣٠ ديسمبر سنة ١٩٠٩)

يا رب ما ادرى كيف ضل هذا الانسان وغفل عن اجل النعم
وابهاها واقفعا واجلها ، جلست اليوم في منزل فيه حديقة غناء
والنسيم تهب ، فقلت لصاحبها وانا احاوره ، ايها اغلى وابهج
لقلوب ، اقبضه من النسمات ، ام اكبر جوهرة نفيسه في العالم ؟ فقال
بل الجوهرة ، فلربما بلغ ثمنها آلاف مؤلفة من الجنيهات فقلت
يا للعجب ؟ جوهرة لا تقدي ، ولا تلبس ، ولا تقي حر ولا برد ،
يموت الانسان اذا سرقت ، وهو غافل عن النعم المقيم ، وما به
الحياة كالنسيم والماء ، الا ان الانسان لظلم كفار ، ثم اودعت
خطابا في مستودع البريد مرسلا الى اليابان ففكرت كيف يصل هذا
فرايت اتحاد الامم على العمل ، فسيمر بالاراضى المصرية تحملها
السفن الاروية و يتجه في عرض البحر حتى يصل اليابان ، وقد
تضافرت الدول على حمايته في السفن وحفظه من الضياع والتلف
و ايصاله لمن ارسلت له ، أليست الامم جمعاء خدمت خطابي هذا ؟
كم من خطاب في السفينة السائرة ، وكم من عالم بالبحار قام بتسيير

السفن في البحر الملح وكم من خادم يقوم بالعمل فيها ، وكم من طرق
بحرية خطتها الدول وحفظتها رجالها ، وكم علوم هندسية درسوها في
مدارسهم ومهدوا طرق البحار على سننها ! أفليس يجب علينا حب
جميع الناس وياليت شعري كيف يتباغضون وهم في الحاجة
لبعضهم ! متساوون أم كيف يدعون الغنى والاحزاب جميعا في
الحاجة مشتركون !!

- ٧٨ -

قال لي تلميذ سنة عشر سنين ان الائمة اذا كانت جاهلة مثلها
كمثل حبة القمح التي زرعتها في الاناء بمنزلنا ووضعتها اسفل الطين
فلم تنبت ، فلما أن وضعتها قرب وجهة الطين واشرقت عليها الشمس
نبئت فهكذا الائمة اذا بعدت عن شمس الحكمة في ظلمات الجهل
ودفنت في غيابة طين الطبيعة الفطرية الحيوانية ، فانها تكون في
قبضة غيرها ، فاما اذا قربت من انوار الحكمة والعلم تنبت تبا تاحسنا

- ٧٩ -

﴿ نصيحة ﴾

أليس من العجيب ان تذكرى ما مضى من ازدياء الشهوات
واقتناص العلم والحكمة في زمن الشببية ، يبعث في اليوم نشاطا
وعملاني سرورا تمر بي ذكرى تلك الاوقات ، وانا في الخلوات
فاحس بسرور في فؤادي وانشرح في صدري ، وأرى ان ذلك

اجل النعم وأغلاها ، ان ذكرى العفة والشقاء في طلب الحكمة
والعلم يسعدني اليوم ، وهو النور الذي يسعى بين يدي ، أراني به في
هنا وراحة الا لاسعاده الا ما كان في رؤس العلماء ، وعقول
السعداء ، ولا سعادة في المادة وانما هي في العقول والنفوس



(٣٠ ديسمبر سنة ١٩٠٩)

رأيت امرأة شمطاء عجوزاً قد ركبت معي في عربة (سوارس)
فلما رأته جالسا صامتا سألتني لمَ لم تجلس في صفى انا وصاحبتي
(وكان معها امرأة اخرى) فقلت ان مكانكما لا يسع الاجسمكما ،
فظنت المرأة اني اهزأ بغلظ جسمها ، فجاشت وهدرت شقشقتها
وانا خت على بلكلكها ، فسلط الله عليها سائق العربة فسلقها بلسانه
الحديدي ، ولا يقل الحديد الا الحديد ، فذكرت اذ ذاك قول
علماء الاخلاق ، لا ينبغي الكلام مع الطبقة السافله والواجب الترفع
عنهم ، ولن ينتجع فيهم الا الغلظه ، وأيقنت ان للحق انصاراً ، وان
للفضيلة اعوانا واخوانا ، وعلمت اذ ذاك كيف بردت المرأة وسكن
ناثرها ، اذ اعرضت عنها بوجهي واخذت اكلم رجلاً آخر كان
بجانبي وقد ادرت وجهي ناحيته حتى اذا دار بيننا الحديث وتجاوزنا
اطرافه ، علمت خطأها ، واخذت تقترب من المتحادثين ، ولا
مصغى لقولها بل تركت في زوايا النسيان ، وهكذا شأن الساقطين
من نوع الانسان والسفلة الجهلة الاوغاد ،

(٢ يناير سنة ١٩١٠)

سئلت عن الهواء الجوي والشمسى ، فقلت لم تكون الشمس
والقمر احمرين عند الشروق والغروب ؟ فقلت ويضاهيان عند
سمت الرأس ، فقلت لان الهواء المحيط بالارض الممتد من مكاننا
الى نهاية الكرة الارضية وهو الممتد على نصف القطر ينضم اليه هواء
الكرة الهوائية فيحول بيننا وبين الكوكبين عند الشروق والغروب ،
أما فى وقت الظهيرة وعند سمت الرأس فان الهواء المحيط فقط هو
الخارج وهو قليل ، وعليه فالجمره عند الشروق والغروب لسبب
حيلولة جرم شفاف وهو الهواء ، ولما ان أمسى المساء شاهدت نوراً
كهربائياً فى زجاجة فيها اسلاك ، الاسلاك بيض من الضوء وان
نظر لها من جانب الزجاجة شوهدت حمراء لحيلولة الزجاجة وهى
شفافه فايقنت لصدق النظرية وبهذه يعمل كبرها اذ ذاك ، لان
الجسم الشفاف كالهواء والماء يكبر ما خلفه ، تأمل فى الزجاجة كيف
ولت بما فيها من السلك على الشمس والهواء وكيفيتهما ، أليس هذا
كاستدلال الانسان بالارواح على الله تعالى نستنتج الكبار من
الصغار وكذلك يقولون للعالم مدبر كما للجسم روح وبالجملة فالصغائر
تشبهها كبار الامور

(٩ يناير سنة ١٩١٠)

ضوء الشمس من تحت السحاب

انطلقت صباح يوم الى المدرسة اذا السماء ترسل على الارض مدرارها ، والسحاب كساها حلة فضية بيضاء تسر الناظرين قد حجبت ضياء الشمس عن الارض ، وقد نفذت من خلالها اضواء شمسية اكسبت الارض نوراً وجللتها نضرة وصفاء وبريقاً وبهجة للناظرين ، فلما ابصرت ذلك النور القيت الجبال باهراً في الافاق وقلت أى الانوار ما أرى انه ليس كنور القمر فانه ضوء منه ، ولا نور الشمس اذا اصححت السماء ، الا انما مثله كمثل ضوء الصباح يتخلل الهواء آتياً من تحت الافاق ، أليس من العجيب ان تكون للشمس اضواء تختلف اقدارها لاختلاف احوالها ؟ فتارة اضواء واضحة في الصبح ، واخرى من وراء السحاب ، ونور آخر منعكس على القمر منطرح على الارض ، وآخر بعد انفلاق الصبح وضوء اصفر اذا تخللت الاضواء طبقات الهواء صباحاً ومساءً ، فلها في الافاق حكم وفوق الرؤوس حال ومن وراء السحاب آخر وعلى وجه القمر غير الجميع فتبارك الله احسن الخالقين ، الشمس اذا اشرقت على الارض مختزقة السحاب اشبه شئً بذى الفضل من الرجال ، فانه وان آذاه الحاسدون ، ونفر عنه الجاهلون ، فلا بد من انبلاج ضوء صبحه ، واشراق شمس من وراء الحجاب ان في ذلك لذكرى لاولى الالباب ، الرجل القاضى كالشمس ، اذا مات انبثق النور

من قبره ، وانبعث من مرقده ، كما يسطع نور الشمس في الافاق بعد غروبها ، ويظهر على وجه القمر فيكسو وجه الارض نورا مشرقا وهو في حياته باهر النور ، يعم ما تصل اليه يد استطاعته ، وان ذمه الحاسدون وافترى عليه الكاذبون ، وغفل عن ذكره الغافلون وان اعتزل في كسريت وحرم الافاق من اشراق نوره فحكمه يبدو سناها للزائرين ، وانوار فجر اشراقه تسير سير الفجر في العالمين

— ٨٣ —

(١٣ يناير سنة ١٩٩٠)

ذكرى يوما في بلاد الفلاحين . ها أنا اليوم تعاودني ذكرى ايام سلفت ، وسنين انقضت ، اذكر العفة والصبر على المشاق فاجد سرورا وبهجة ، هذه هي السعادات النفيسة ، اذ كراني مرة خرجت من منزلنا بقرينتنا للجامع الازهر ، وكان جماعة سائرون الى مولد الشيخ ابي مسلم ، فيهم نساء ورجال وشبان عليهم الملابس الريفية من الجلايب البيض والاكسية السود والاردية الحمر والعمائم والعصب البهجة والخبر المضمخة بالعبير والبراقع المكحلة بالذهب المنظومة بالمرجان والاطواق الفضية ، والاساور الملوية ، والنسوان في هوداجهن يغنين فرحات ، مستبشرات ، وترى الشبان ماسكين هراواتهم (النبايت) واضعيا على عواتقهم جذلين بما شنف آذانهم من غناء الفتيات ، واطراب الغنيات ، والنسيم تلعب بالاعطاف والقدود وتغلا الجلايب وتنفعها كأنها قرب الريفه ، أو شراع السفن المصرية ، والابل تمد اعناقها جذلا وهي تسير عنقا والاشجار

من الجانبين تترنج ذات اليمين وذات الشمال وهم جميعا في حبور
وسرور ، كان ذلك وهم سائرون في طريق سكة الحديد ، وكنت
سائرا حذاءهم في الطريق الجانبى هم فرحون وانا فرح وكان ينحيل
الى انهم لى يغنون ، وبسفرى فرحون ، وأقول انهم ذاهبون ، الى
منصب فيه يرتعون ، ومجهلهم فيه يلعبون ، واذا رحبوا في يومين
قائهم واجمون ، فيبطل غناؤهم ، ويزول فرحهم ، أما انا فمطلبي
عظيم ، وسعدى نعيم مقيم ، فهكذا كانت وجدانى وفرحى وسرورى
أو كأننا مسراتهم نور شمس اخترق الهواء ، فلم يسطع على صفحاته
ولم يتلألأ في طبقاته ، وانا ظهر اشراقه ، وبهر نوره وابراقه ، اذ
تجلى على الارض فكان بهجة للناظرين ، وسرور للعالمين ،

— ٨٤ —

(١٨ يناير سنة ١٩١٠)

مسألتيان الاولى كنت أرى وانا في قرينتا بيلاد الريف الرجال
ذوى الوقار منهم يملأون القلب مهابة ووقارا ، فاذا حدثني احدهم
ظننت ان ما نطق به حكمة ، واذا رأيت رجلا اطول منى باعا
واقوى جسما واصبح بدنا وأحرث للارض واسرع للحقل ، خلته
ملكاً عظيماً ، وسيداً كبيراً ، فلما ان انطلقت الى الازهر رأيت
الوقار اعظم ، والهينة اكثر ورأيت رجالا آيات في العلم قد انزلت
عليهم الايات البينات فاذا سألت عن عظام الامور مالا يقرأ فيه
اجابني العالم بهيئة تنبئني عن سعة الاطلاع ، وطول الباع ، طالما
سبق الى ذهنى ان وراء علم التقدم علما حتى اذا اطلعت على مالم يحويه

الازهر من علوم الاوائل والاواخر ، رأيت مجوراً زاخره ، وعقولا
 وافره ، وشجعانا بجيوش العلم ظافره ، ثم حصدت بيمصرى خلف
 ستارهم ، ونظرت وراء حجراتهم ، وفكرت فيما وراءهم ، فرجع
 الى الطرف خاسئاً وهو حسير ، وأيقنت ان حكماء الانسان في الارض
 مثلهم كمثل شيوخ الفلاحين ذوى الوقار في نظر الحكماء بل الانسان
 جاهلة وعالمه كدود في بطن بقرة لها نظام ، وقانون وعلم ، والبقرة
 لا علم لها بها الا كما تعلم الفضلات وتحرقها ، فاذا هالك حكممة
 الحكماء ، وعلم العلماء ، وسياسة الملوك ونظام الدول ، فالى بنظر
 الى عالم السموات وما حوت من نظام بديع فان فى اقطارها من
 السكواكب ما يزيد عن ارضنا آلاف الملايين ، فلو ان لدنهم نظاما
 وعلماً فليسوا ينظرون لنا الا كما ننظر نحن الى النمل بل الى الصمغ
 (المكروبات) والديدان وادق الحيوان ، فتأمل وتعجب على قدر
 سعة العلم الصحيح تكون الحرية . سيحوا فى الارض ولا تقطنوا
 مكاناً واحداً فوالذى اوسع السموات والارض ، لئن عزمتم بسكنى
 لاوطان ولزمتن الحيطان لتسا من سوء العذاب ولتجد به انفسكم يوم
 الذلة قانتين ، وللظلم خاضعين وعن الفلاح مبعدين فلا تعرفون الا
 دياركم ولتساكن كالا نعام الرابضه ولتساكن يومئذ عن النعيم ، فسافروا
 لتعرفوا البلاد فيسهل عليكم ان تدخلوا اليها اذا مسكم الضر ولا
 تقعدوا على لذة واحدة لذة الحيوانيه ، أو القوة العصبيه ، بل سارعوا
 الى لذات العلماء ، وحكمة الحكماء ، فوالذى سير السموات ، وعلم
 ما مضى وما هوآت ، للذى يكون اغزر علماً ، وأدق فهماً ، واوسع
 حلاً ، سيلتجىء اليها اذا خانته قواه الجسميه واعرض عنه الشباب
 وولى وما شعر ولعمري ما مثل المغرمين بالاوطان ، الا كمثل المغرمين

بلذات الاجسام ، وما مثل أولئك الذين يضربون في الارض ،
الاكمل من جاوز اللذات الجمالية ، وضرب بسهم في اللذات العقلية ،
وما مثل الاولين الا لمن اخذ الى الارض واتبع هواه ، وما مثل
الاخرين الا اكمل آمن بالله ونال هداه

اليوم سمعت قراءة القرآن والقارىء ذو صوت رخيم ، وترتيل
جميل ، فاخذت اذن الامرين ، وافرق بين الحالين ، وافكر في
الصوتين ، وافول ان القرآن هو القرآن حسن الصوت ، أوقبح جمل
الترتيل ، أو سمع فياليت شعري كيف يؤثر في النفوس في احدى
الحالين وعمر من التسميم على الضفاة ، والماء على الصخرات ، والجاهل
على العبرات ، والحكيم على الشهوات ، فلم يحدث في النفوس اثرا
ولا في العقول ذكرا ، ولا فرحا ، فاذا قرأ القارىء ذو الصوت
الرخيم (ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الارض ونجعلهم
ائمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الارض ونرى فرعون وهامان
وجنودهما فهم ما كانوا يحذرون) بعد ان قرأها من لم يساعده صوته
ولم يؤيده نفعه فكيف يكون الفرق بين الامرين ؟ ، وما الحكم على
القارئ ؟ ، وكيف يعرض القلب ويتولى في احداها ويحمر على
الاذقان سيدا في الاخرى ؟ ان هذا لعجب عجب ! ترى القلب
عند سماع الآية في افضل الحالين

يطوف ساحات الخيال ، وباحات المعاني ، ويجول في اودية
الحكمة ، ويفوض على درر المعاني في بحورها ومرجان العلم من
منابتها ، ويخرج معادنها الغالية من ظلماتها ، ومعادنها ، فيحضر
لديه الامم الخالية ، والاجيال البالية ، وقدماء المصريين ، والاشوريين
والبابليين ، والروم والفرس ، ويعطف عليهم الامم الحاضرة فيحشر

الاولين والاخرين في صعيد خياله الواسع ويلقي عليهم حكما لا
 شية فيه ولا شطط ، يقول لقد حكمت ملوكهم فظلمت ، واستبدت
 بالرعايا فشطت ، فها هو قد آن الاوان واستدار الزمان ، وحكمنا
 الرعايا في دولهم ، والضعفاء في ملوكهم ، والفقراء في اغنيائهم ، فجعلنا
 السادة عبيدا ، والعظماء جنودا ، وسلطنا حامل الفأس وسائق الجمل
 ولابس الثوب الازرق وراقع الحذاء وصانع البناء وحافر الانهار
 وطاوى الابار على ذوى الارائك والقصور الشاهقة والضيايع والمتاع
 والكبرياء والعظماء وذوى التيجان والصولجان ، ليعلم اولئك المتكبرون
 الغافلون والظالمون في الارض بغير حق ، وهم يجهلون انا قلبنا لهم
 ظهر المحن وسلطنا عليهم الاحق وتطأ طأت رؤسهم ، وانحنت
 لاحكام الرعايا فاريناهم من آياتنا عجبيا ، وعكسنا عليهم القضية
 واضعنا منهم الامنية انها لامنية مخدوع ورب الكعبة كانوا يحذرون
 ان الرعايا يتعلموا حقوقهم ويطالبوا بالانصاف : ويرتعدوا الاحجاف
 كانوا يمنعون العلم ان يتسع في عقولهم : والحكمة ان تلامس قلوبهم
 فعشمو نفوسهم الى الانتصاف فينزلونهم عن عظمتهم : ويحطونهم عن
 كرامتهم : فقالوا للرعايا لنا الامر وعليكم السمع والطاعة ، انما انتم
 العبيد ونحن السادة : وانتم الخدم والحشم : ونحن الامراء والعظماء
 فان نعق منكم ناعق اجلبنا عليه بجيئنا ورجلنا وشاركناه في لاموال
 بالانتهاب : والاولاد بالاستبعاد : واحطناه بسور من الاجناد
 وارسلنا عليه مشوذا من نار وحديدا وعذابا شديدا : فها هي حقت
 كلمتنا على الظالمين : وانصفنا منهم المظلومين : من بعد الف سنة مما
 تعدون وستقوم الامم جميعا قومة واحدة وتشرق الارض بنور ربها
 ويطأ طىء الظالمون رؤسهم امام المظلومين : وينزل الجبار صواعق

غضبه وبوازق ناره على من ظلم ويهمى وابل غيث رحمته على الضعفاء
 في سائر الامم من جميع الممالك شرقا وغربا تلك ارادة الله ولا راد
 لقضاه ، هذا ما يختلج في القلب اذا سمعنا هذه الآية من صوت
 رخيم ولا يلبج في الفؤاد والجب من المعنى ، ولا يطوف طائف من
 الحكمة ، اذا استبدل لنا الذى هو خير بالذى هو أدنى من الصوت ،
 فيا ليت شعرى ما السر في هذا ، وبينما انا اجيل النظر في هذا المعنى
 اذ لحت من خلال الاستار نوراً أشرق من شمس الحكمة الوضاء
 على مرآة العقول البشرية النقية ، وقرأت في لآلئها سطورا تمر
 كل يوم والناس لا يشعرون ، وتظهر ولكن اكثر الناس لا يفقهون

- ٨٥ -

ألا ان الانسان مسوق بوجدانه لا بعقله وبرهانه
 طالما بحثت عن سير الناس في أطوارهم واحوالهم ، فرأيتهم جميعا
 مقودين بازمة الرغبة الجاذبة لنفوسهم ، المؤثرة على عواطفهم ،
 والبراهين قلما تفيد ومالها من اثر الا في الحقائق العلمية اما في الاعمال
 البشرية فلن يعمل بها الا الاقلون ، قالفارىء ذو الصوت الرخيم
 تتخذ الحكم الوارده من لسانه حجة صقلها الصوت وجندرها الترتيل
 والشاعر والنائر المخلان لقولهما يدخل في الاذان بلا استئذان ،
 والرجل الذى يتخلل حديثه مفاكهات ادبية ، ودرر شعريه ،
 تصبوا له العقول ، وتهواه النفوس ، ويقبل على قوله ، ويعمل كثيرا
 برأيه ، والمرأة الجميلة تستهوى عقل عاشقها وتكون سائقة لقائدها
 والرجل الحسن الصورة ، مقضى الحاجة ، محبوب الطلعه ، وترى

الاطباء محتالون في تنويم المريض يسهل عليهم التأثير عليه فتتجمع
دواؤه ، ويشفى مرضهم ، ولذلك ورد في الشريعة الغراء استحباب
الدعاء في السر لا استعداد القلب اذ ذاك للافعال بالدعاء ، فيكون
اقرب للقبول ، وادعى للماء مول ، وندبت صلاة الليل لفراغ القلب
من الاشغال وضعف الحواس فيكون اصغى واقبل فيقبل اثر ما لفظ
من القول ، وما يبرز من الفعل ، فيحلو للنفوس في ظلمات الليل
الاستهاج وانتهاج بخطة العبادة وترى المصلحين الصائمين الحاجين ،
بصيرة وسريرة خالصه أقرب لفهم النصيحة وابعد عن الكبرياء
والعظمة الصادقين عن الحكمة المانعين من الفضيلة ، وكثيرا ما نسمع
ان ذوي المذاهب والاراء يعمدون الى الموسيقى والى البكاء
والتاثير اخرى ، فيبهم الناس وهم لا يشعرون بالبرهان وما ساقهم الا
الوجدان ، وحكى ان بعض الملوك العباسيين طلب من بعض مشايخ
الحنفية دليلا من كتاب الله ، على ان الحر لا يقتل بالعبد فقال انى
سمعت غلاما على شاطئ دجلة يترنم بهذه الايات ،

خدوا بدمى هذا الغزال فانه رمانى بسهم مقتلته على بى

ولا تقتلوه اننى انا عبده ولم ارحرا قط يقتل بالعبد

فقال كفانى هذا برهان ومم يطلب دليلا من الكتاب جالبه
لوقوع او تاثير في قلبه موقعا عظيما ، ومما سحر العقول مناظر هذه
العوالم المشاهده ، ذات البهاء والجمال فانها اذا اشرق نورها ، وبهر
جمالها ، واشرقت على النفوس العليمة ، اكسبتها جمالا وحلية ورفعتها
الى العلياء وكمن قارىء للحكمة ، ساهر فيها ليلة ، مجد فيها نهاره
وهو غير مسترق البصيرة فاذا نظر العالم المشاهد بنفسه وتامل جماله ،
وكان ذا بصيرة سحره ذلك البهاء والجمال فقاده الوجدان ، وعصاه

البرهان ، ولذلك لم يكذب يصلح نوع الانسان من الفلاسفة الكبراء
الا الحكماء الناظرون في الالكوان . وليس لغيرهم في الانار عند
الناس من نصيب فصدق قولنا وصح يقيننا (الا انما الانسان يسوقه
وجدانه لا عقله وبرهانه)

- ٨٦ -

(٣١ يناير سنة ١٩١٠)

في هذا اليوم قابلت عمان افندى رأفت مدير مدرسة سنغافوره
وكانت المقابلة مصادفه : واسمعى من ناحية ملوك المسلمين في الهند
والصين وبلاد اخرى : ما عجبت له وقد سرنى انه يعلم ابناء الملوك
والامراء . وزادنى سرورا ان ما اكتبه في مصر منتشر لديهم في
تلك الاقطار . شائع في تلك الامصار : فحمدت الله جل جلاله :
الليله او قد المصباح وهو ذو مفاتيخ ثلاثه مفتاح لايقاده : ومفتاح
لرفع المشكاه وانزالها : ففتاح الايقاد يرفع الزجاجه فتظهر المشكاه
فتوقد . واما مفتاح الاطفاء : فانه يرفع صفيحة تمنع الهواء فينطفئ
النور : واما التى ترفع المشكاه وتحفظها : فامرها معلوم معتاد هذا
مثل ضرب للناس ليفقهوا سر الحياه : ان النور ضوء نشا من اتحاد
الكسوجين الهواء بماده الايقاد : النور كامن في المادتين : ليس يخرج
الا اتحادهما : ولا يظهره الا التقاؤهما : وله حياه وموت : وصحة
ومرض : كحال الانسان والحيوان والنبات : نور المصباح انما اعد
ليضيء لنا في الظلمات اذا لم تضيء الشمس . فاما اذا اضاءت فلا

حاجة للمصباح . ولما كانت الحياة الحيوانية اشبه بالظلمة . والحياة
الروحية اشبه بالنور . كانت حياتنا مبدؤه ومختموه . وذات صحة
ومرض : كما يعرض المصباح فكما ان المصباح يحترق ويموت :
ويضعف ويقوى . وله مفاتيح تفعل ذلك كله او هو انما هو يضيء
فى الظلام عند فقد نور الشمس . هكذا كانت حياتنا فى عالم الاجسام
لها بدؤ وختام ومرض وصحة . بمفاتيح لا نملكها . ومقادير لا نعلمها
فاذا اراد الله عز وجل بامة خيرا . ارسل لها ارواحا عالية فضاءتها
ثم قبضها اليه : واذا اراد خفضها سلط عليها النفس الضعيفة صغيرة
الهمة فاما ثققتها فاصبحت فى الاخرين احلا وكما ان فوق المصباح
نورا اعلى وهو نور الشمس . فهكذا فوق انوار العقول فقوى اخرى
ارقى منها واسعد واعلى وهى نفوس الانبياء والحكماء نظرها للعموم
وهمتها منصرفة للنوع الانسانى : ان النفوس الصغيرة اشبه شىء
بضوء المصباح ينور سريعا : ويفور سريعا . فاذا ذهبت ايامه واتقضت
اعوامه كان كانه لم يكن . أما النفوس العالية : والارواح الشريفة
الفاضلة : فان آراءها للعموم واسعادها موجه لنوع الانسان : فان
نظروا فى الامور اعتبروها من الوجهة العامة : او فى اصلاح الانسان
بذلوا همتهم للمجموع : الا ان فرق بين الشمس والسراج : كما بين
رجال الامم العظام والاحاد : جالس الرجل وكلمه فان رأيت همته
الى العموم لتصرفه . فاعلم انه كالشمس . وان رأيتها الى الوظائف
والمراتب والامور الجنسية . والشهوات الدنيئة . فاعلم انما هو سراج
ينطقى وينقص : ولرب رجل خير من الف رجل . بل آلاف .
الشمس تضىء والمصباح يضىء ولكن احدهما لخصوص .
والاخر للعموم

ان لنا بعد هذه الحياة حياة ، و بعد الاولى آخره كما أن لنا بعد
السراج نور الشمس والقمر والكواكب ، فكل ناقص فله حلة كمال
فاذا ابصر المصباح انسان لم ير الدنيا ، ثم ابصر كوكبا بدا لخيلة حال
أخرى يرى فيها مصباحا يشرق على العالمين دفعة واحدة : فيظن
ذلك الخيال محالا ، فاذا ابصرت الشمس ظهر الخيال عيانا ، والمعقول
يانا ، فلكل صغير كبير من نوعه ، هكذا حياتنا الدنيوية لها حال
أوسع منها فناء واطول امداء ، نتخيلها ولكننا فيما بعد نراها كما نرى
الشمس فيصبح مثل السراج والشمس وانطبق على العالم والجاهل
في الدنيا وحال الرجل في الدنيا والاخرة ، اذن فاقرا قوله تعالى
(الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح
في زجاجة الزجاج كانها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة
لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور
يهدى الله بنوره من يشاء ويضرب الله الامثال للناس والله بكل
شىء عليم .

- ٨٧ -

(ليلة ٢ فبراير سنة ١٩١٠)

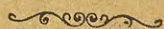
آنست الليلة نورا مضيئا في أبنية الازبكيه ، ورأيت حروفا
كبيرة على بناء مرتفع ، وبجانبيها شبه دائرة مرصعة بصور
جميلة ، كأنها قطع ناقص أو بيضة مكبرة ، والنور ينقبض ، وينبسط

ويحمر تارة ، ويصفر أخرى ، وآونة أراه مرقشا منقشا بلمظ (جمع لظة) يبيض وخضر باهته ، ثم تزيد قليلا قليلا ، ثم يتم جلاؤها ويظهر بهاؤها ثم يخضر خضرة ناضرة زبرجديه ، وترى على الدائرة طيف خيال ، كالظل عليها باستدارة لا يفتأ دائراً ، ولا ينفك متحيراً ، وهو يغشى اجزاء الدائرة جزءا فجزءا ، منظر بهيج جميل ، وهيئة باهرة وسحر جاذب ونور مبين ، واشكال بديعه ، ومناظر غريبة ، وبدائع تأخذ بالالباب وتكاد تذهب بالابصار ، عجائب تسرق النفوس وغرائب تختطف الارواح وتسبي العقول وتحير الخيال

ان للخيال حركة سريعة فهو عاشق لما اسرع في حركته من جمال الالوان ونعمات الاصوات هكذا كان طبع الخيال ، وهذا شانه عند الانسان ، تأملت ذلك المنظر ولكنه لم ياخذ بلبى ولم يستحوذ على شعورى ، بل كنت أراه كما يرى العفيف وجه البغى الحسناء ، الا ان لهذا مثالا فى الاشجار ان فيها من جمال الازهار ما بهر ، منه احمر قان ، واصفر قاقع ، وازرق زاهر ، وأبيض ناصع فى الشجر جمال وبهاء ، وزهور ناعمات ، كانهن الثياب العبقريات انه جعل فتنة للحشرات ، مجلبة للنحل الطائقات ، فاذا كان الجمال فى الازهار لجذب الحشرات ، ليلقح ذكرانها الاناث ، وتستخرج الثمرات والفواكه والخضر ، فان تلون اسم التاجر بنور الكهرباء ، وتقلبه كما تتقلب الحرباء ، واتصافه باوصاف الجمال الباهر للابصار مجلبة للشارين ، ومصيدة للمثرتين ، ومجذبة لحشرات الغادين والرائحين ، يطوفون حول حانوته ، ويدورون على بضاعته ويشترون الثياب ويذرون الدراهم تذهب الى بلد تستشر ما حازوه ، وتنتج عمار المال مما تملوه ، تشابه الانسان والنبات ، التاجر كالنبات والشارون

السائرون على نور الكهرباء كالخشرات فاذا وردوا الحوانيت حملوا
منها الامتعة والثياب كما تحمل النحلة مصمة من العسل ويذرون
الدرهم والدنانير فيكون لهم غنى ولدولهم عزا ، ولا ينالهم ذخرا ،
ولتجاراتهم رجحا ، ولبلادهم مغما كما باع الزهر عسله وتقديه ان القح
الذكران الاناث فجاءت الثمرات وكثرت الحاصلات ، ونمت
الغلات ، ان للجمال سلطانا على القلوب ولكن اذا أتبعته رذيلة سقط
من العيون ، وصار في رتبة الدون ، هكذا ذلك الجمال الظاهر الذي
يشف عن نهب الاموال ، والضحك على الجهال كنت اقرؤه وكاني
نظرت سطرا من النور مضمونه (انى اشتف ما بقى من اموالكم
واستاصل ما بأيديكم حتى لا ابقى ولا أذر) وكانما طيف الخيال
الدائر على تلك الدائرة المضيئة : سفنجه تمتص ما لدينا من ماء الحياة
حتى تصير ارضنا صعيدا زلقا ، هكذا هجس في روعى اذ رأيت
هذا المنظر ، اللهم ارشد قومى لسعدهم ، وارهم اللهم ان الجمال صورة
من صور اجتذاب النفوس لطرف المال ، فاذا جعل وسيلة لتحويله
الى امم اخرى ، فذلك الدمار والهلاك ، ألا فليحذر الذين يساقون
الى تلك الهاوية وهم لا يشعرون وما دام جمال الصنائع الفتان
يستنزف ثروة البلاد فسوف يهلك كثير من ذوى الصناعات فتقترب
الامة تدريجا من الهلاك نعوذ بالله من غضبه ونزع اموالنا الى غير
ارضنا ، يا ايها الناس تحابوا (فصل) الامم اليوم لا تفتاء
كالوحوش الضارية ، ومن عجب ان الضرر اللاحق بمعامل باريس
يؤثر في مصر والعالم اجمع ، فنوع الانسان كرجل واحد واذا
اصابت الازمة امة ، والقحط بلدا ، والوباء قرية ، اهتزت سائر
الارجا ، وارتجت ظهيرة الانحاء ، واذا قلت الثمرات ، وضعفت

الحاصلات ، في فريق من الناس عم الغلاء ، وطم البلاء ، فالناس
 اذن جميعا متضامنون ، وشركاء متحابون ، فإلهم يجهلون ، وما
 بالهم يتحاربون ، أيها الناس توادوا وتحابوا ولا تحملوا السلاح الا اذا
 رأيتم الناس وحوشاضارين ، وغورا باظفارهم منشين ، فلا تذر وهم
 يهجمون ، ولكن تعلموا واعملوا وادفعوا القوة بالقوة فإذا سرت في
 هذه السبيل وقارنكم النصر والنجاح فأرأفوا بالناس اجمعين ، ولا
 يكون السلاح والكرع الا عند الخوف من شر وحوش الانسان
 (فصل) شاهدت وانا في المدارس تلميذا واستاذنا ان للمكافآت
 العلمية بين التلاميذ فضيلة وان للمكافآت العملية في الوظائف طرقا
 غير الحق ميزانها مجهول يرفعون ويخفضون وهم لا يفقهون



(ليلة ٥ فبراير سنة ١٩١٠)

كنت في امس الدابر مع بعض طلاب العلم بمدرسة الحقوق
 الخديويه فقال قائل منهم ماذا ترى في امر الحدود بقطع يد السارق
 أليس هذا يعد من الوحشية ؟ وكيف تقطع يد الانسان ؟ ومن ذا
 الذي ترضى نفسه ان يرى مسلما مقطوع اليد ؟ ثم ماذا تقول في
 تعدد الزوجات ؟ أليس من الوحشية المقتوته !! نبئنا بتأويل ما
 سألنا عنه والا فدعنا عاكفين على الضلال مرتبكين في الاحوال ثم
 ماذا تقول في الخمر ؟ وقد شر بها الافرنج وكيف حرمانا حاله الافرنج
 ان فيها لمنافع لقوم يشربون ، فقلت ان بعض الامم الشرقية اليوم

انكرت نفسها ، وتخلصت جامعتهما ، وشكت في كفاءتها فاخذت ترمى نفسها بكل ما يقول الغربيون وتدم قومها بما يذمون ، ان للامم القوية منومات تنوم بها الامم الضعيفة كالتنويم المغناطيسى فتبهرها أولا بالمدافع والجيش والصناعات وتسلبها بعض اموالها وصناعاتها ثم تأخذ في سلخها من سائر عاداتها تدريجا وتحرص على ان تسلبها الفضائل وتلبسها عليها بالردائل لتتساخ عن العادات ، ونخلع لباس الجماعات ، والاعمال والنيات ، ولما كان هؤلاء ضعفاء كان قول القوى منوما كأن يقول انما عاداتكم ضلال ، ودياناتكم وبال وعقولكم خبال ، وآرائكم أوهى من العنكبوت وكل أمة هذا شأنها حق لها ان تموت فتصيب هذه الكلمات مواقع الوجدان ، وتصبح عادات الامة واخلاقيها في خبر كان ، فان قالوا في حد السرقة انه وحشية نقول على رسلكم انه وحشية لانه في دين من لم يغابوا ولو غلبنا لكان ذلك قولنا لينا لطيفا ، اذ يقال ان الحدود اقصى العقوبات والقرآن ذكرها موافقا للتوراة ، فهو دين سلام وقد خففه ديننا اذ قال صلى الله عليه وسلم ادرءوا الحدود بالشبهات ، فارتفع الحد عن المنكر والشريك وبالجملة ليس يكون هذا الحد الا على الاقل النادر في الحال التي تجوز فيها الامم جمعاء القتل والشنق فجاء في الاسلام الحد الفاصل بين التعزير الذي يكون برأى القضاة والقانون وبين قتل النفوس الذي اجازته الامم جمعا والحد واجب ليحدد الحكم ويمنعهم عن تجاوز قطع اليد عند الاحكام الخاصة ، ليس على وجه البسيطة من أمة الا واجازت القتل في بعض الشؤون وفي احوال عارضة فحددها الشرع في السرقة بقطع اليد ولو انه خير رجل بين قطع يده وبين الموت لفضل أولهما ، فاما تعدد الزوجات فاعلم ان

تعداد الذكور كتعداد الاناث غالباً في سائر الامم وليست الزيادة الا طفيفة فليس يمكن ان يثنى أو يثاث الا اثس قليلون ، وقد ذكر اللورد كرومر في تقريره ان تعدد الزوجات في المصريين والمسلمين لا يتجاوز ما بين الخمس والثلاث في المائة وهذا هو المعقول ويستحيل ان يعدد الجميع اذ لا يجدون نساء تكفيهم بهن يقتنون وهؤلاء الخمس لا يضررون ، في المدينة والعمران شيئاً لو كانوا مفسدين ، فكيف وهم مصلحون الا ترى رعاك الله ان النساء يزدن عن مقدار الذكران لما يصيب الرجال من الموت والالام والمصائب ، فتكثر النسوان فاذا لم يعدد أولئك الخمس أو الثلاثة في المائة فإين يذهب الباقي من النساء ولا يعدو امرهن من احدى خصال ثلاثة ، فاما ان يعشن راهبات ولا رهبانية في الاسلام ، واما ان يعشن باغيات ويخدشن وجهه الادب ولا اباحة في الاسلام ، واما ان يتزوجن على ضرر ولعمري لان تنال احداهن الضرر من مجاوره أخرى خير وابقى لهما من ان تزني احدهما وتتبوا متبواً خسيساً ، سالتكم بالله ايها الشبان أترون الرجال جميعاً اعفاء قالوا كلا ، قلت أفليس عشرون في المائة من اهل اوروبا يتزوجون سرا على نسائهم ، قالوا بل ستين في المائة ، قلت اذن ظهر لكم ان نوع الانسان مضطر لتعدد الزوجات حتماً ، قالوا نعم قلت أفليس اذا وافق سنة صحيحة وانتج ذرية شريفة شرعية فهو خير واقى من سفاد كسفاد الحيوان مع سعى في هدم ابنته المولود وقطع الطريق على حياته ، قالوا نعم ، قلت اذن لم يبق الا ان اذ كر لكم سبب اشاعة الاوروبيين هذه الاشاعات ، ذلك انهم حكم عليهم باعتناق دين يحرم التعدد على الأزواج فالجاء بعضهم للفسق وزج بعض نسائهم في حماة الرذيلة فصاروا الوفا مؤلفة ونظروا فوجدوا المسلمين

يتزايدون اذ يتزوجون كما يتوالد ويتناسل اهل بلاد الكفر وريا وقد
 حقدوا عليهم لما راوا رجلاهم يعددون الزوجات وهن يقمن بالعمل والزرع
 والحصد والسقى والرجال لا عمل لهم الا ان يكونوا سادة يولدونهم
 فيكثر النسل فاغاظ ذلك ساستهم ، فاخذوا يشيعون انهم ظالمون
 لنسائهم ، معددون لزوجاتهم ، وضربوا خرجا على كل من اقتنى
 زوجات متعددة فظاهره مساعدة الانسانية ، وباطنه حقد على
 كثرة الذرية ، ونتيجته استعمار البلاد واسترقاق العباد ذلك نص كلامهم
 في كتبهم انهم يتمنون أن تبيح لهم عاداتهم أو دينهم ، أن يعددوا
 كي لا تترهب تلك البائسات ولا تحرم الا آن من ولادتهم ذلك شان
 الامم الغربية مع الشرقيين ، وأما الخمر ، فلا اقول الا ما شرحه العلامة
 هنرى الفرنساوى اذ قال ، ان الخمر هى السلاح الوحيد الذى قاتلت به
 اور وبا الامم الشرقية ، لتستأصلها به وتحل محلها ولم ينجع فى
 الجزائر ولم يحفظها الا دين الاسلام ، بعد ان اجتهدنا فى نشر الخمر
 بينهم ليقطع نسلهم فطاش سهمنا ، وخاب سعيانا ، ورفضوا الخمر
 احتقارا وتعبدًا ، فهذه احدى شهادات العلماء فى الاحكام فاعتبروا
 يا أولى الابصار



(يوم ٦ فبراير سنة ١٩١٠)

﴿ ملابس الزهر ﴾

فرغت من اعمال المدرسة اليوم وبعثت الشارع لاروح النفس واستجتم القوى واطلب الراحة ، فيينا انا سائر اذ آنت شبيحا في الطريق عليه ملابس حمر وبيض بهيئة جميلة باهره فخيلى لى انها اوراق الزهر فى انتظامها وهندستها ومشاكاة ألوانها وحسن هيئتها ثم قلت ، ان جمال الزهر طبيعى حسن بديع افليس يجدر بالانسان ان يكون زهرى الملابس بحيث ترف وتشف ونصقل فى نسيجها صقل ثياب الزهره ، وبينما انا مستغرق فى هذا المعنى اذ لححت المارة غادين ورائحين ، مقبلين ومدبرين ، وليس لاحد منهم ما يشبه اثواب الزهرات ، بل الفيت الغنى والفقير بمران وسائر ملاشهم منسوجة نسيجا غليظا أو دقيقا لا تقارب نسيج لباس الزهرة فقلت أليس الانسان نهاية سلسلة المملكة النامية من النبات والحيوان ! أليس الانسان نباتا راقيا ؟ الانسان نبات مرفوع الرأس الى الاعلى والحيوان رأسه للجوانب والنبات رأسه فى الطين ، وما نحن الا نبات ننمو كما ينمو ، ونحيى كما يحيى ، ونعرض كما عرض ، ونموت كما يموت ، نحن أرقى منه بمرتبتين الحيوانية والانسانية ، بل بمراتب فراتب الحيوانية كثيرة متتالية ، أفلم يكن الانسان أجدر بجمال الزهر ومحاسن ألوانه وتقرش ابداعه ، ثم لححت سيده مزدانة بورد احمر واخرى مكللة بزهر ابيض على رأسهما فقلت ها هو الانسان اخذ يتحلى بالزهر وماله لم ينل جماله فى ثيابه ، وبينما أنا اجول فى هذا المعنى اذ ادركت

سر الامر وعلمت ان حسن الزهر طبعي ومحاسن الثياب صنعانية ،
 فالملابس مصنوعة بايدينا ، منسوجة على مناسجنا ، مخيطة عند
 خياطنا مصبوغة باصباغنا فاما نسج الزهر وتزويقه وهندامه فانها
 طبيعة الالهية فكان أبهى روتقا ، وأبهى جمالا وجسنا وانى يستوى
 الطبع والتطبع وليس التكليل في العينين كالكلحل

- ٩٠ -

(يوم ٢٠ فبراير سنة ١٩١٠)

﴿ أتدرك الجمال ؟ ﴾

يرى الانسان شيئا ولا يفقه له معنى ويقرأ كتابا ولا ذوق
 لحكمة لذة وما الحاجب الا ما قام بالنفس من نقص وألم بالجسم من
 ضعف أو ما شغلت به الروح من لذة أو عرض لها من سقم وقد
 يعرض للانسان شكل الحسن والجمال فلا يفقهه لنقص فطرته أو
 ضعف جسمه أو استغراق فكره وهذه نفوسنا وتخيلاتنا وعقولنا
 بدیعة التركيب ، حسنة الهيئة تعيش وتموت ، ونحن عنها غافلون ،
 ذلك انا ننظر لها كأنها آلة مفكرة ودار صناعة عقلية ومنسج للمعاني
 وقليل من بنى الانسان من ينظر في عجائبها وجمالها وعظمتها انها تركب
 وتحلل الصور ، وتبنى القصور ، وتجند الجنود ، وتصنف الصفوف
 قد يتخيل العقل قصراً مشيداً ثم كوخاً حقيراً ، وينشئ بستاناً ،
 ويشيد مدرسة في أقل من لمح البصر ، ويفعل مالا تفعله الايدي
 البشرية في قرن ، ويقعل مالا يفعله الماهرون في طرفة عين

غفل الناس عن ذلك وظنوه وسوسة وهجسا وعملا بلا فائدة
مع انه لا يقل في الاتقان عما يفعله صاحب الصور المتحركة فانه
يحدث صوراً متعاقبة مما نشاهده ، فيلذ ابصارنا ، ويهيج قلوبنا
ويحيي نفوسنا ، واذا فكرنا في قدرة الله وعظمته عرفنا كيف يخلق
بلا مادة ، وينشئ بلا معين ، وكما هذه العقول والارواح امثال
وضعت فينا اذا قرأناها ادر كنا كيف يقول للشيء كن فيكون ، وكيف
أصدره للعالم بلا مادة ، ولا آلة ولا اصباح ولا زينة فاننا نلاحظ
أنفسنا تنشئ وتبنى وتصبغ وتهندس ، ولا آلة ولا صبغ ، ولا تنهاى
قدرتها ، ولا آخر لعملها والله لا آخر لقدرته ولا نهاية لعمله ، وفي
الكتاب وفي أنفسكم أفلا تبصرون ، وفي الحديث « من عرف نفسه
عرف ربه » ألا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين

- ٩١ -

(يوم ٦ فبراير سنة ١٩١٠)

﴿ الصور المتحركة ﴾

نشاهد الصور المتحركة تمثل أيام الحرب ، وتحكى أعمال
الصوص الهاربين ، واجرام القاتلين ، وجنایات الخائنين ، وظلم
الطغاة ، وأعمال الجبارين فيسرنا منظرها ، ونحن نرى الرؤوس
مقطعة ، والجثث ممزقة ، والظلم مجسما يسرنا ذلك ولو اننا كنا مؤانسين
الوقائع الاصلية ، والمشاهدات الفعلية لا تقبضت نفوسنا واشمازت
من هول ما ترى أرواحنا ذلك لان النفوس تسر لمنظر المعائب ،

وتترج لما ترى من الغرائب فافعال البشر كلها دائرة على محور الافكار
 في دائرة النظام فان قرنت بما لا تحبه النفس الانسانية أضاع الظلم
 بهجتها ، وأمات لذتها فاما اذا صورت الاعمال وقد دخلت من المادة
 وتجردت عن الآلام النفوس القائمة بها تأدت تلك الاعمال الى أنفس
 المشاهدين صافية ، وجاءت الى عقول الناظرين بمحاسنها ، ذلك
 سر السرور بمنظر الصور المتحركة ، الا ان في الانسان صوراً متحركة
 من اعماله خزنها في خياله وسوف يحضر صور الشباب في المشيب
 ويعرض اعماله على محكمته ، وتر عليه مروراً وينظر لها نظراً
 معقولا فترى الشيوخ يستعرضون صور اعمالهم في شبابهم فاذا كانت
 صالحة مقرونة بحفة وألم ومشقة جاءت لهم مجلوة بهيئة حسنة فسرهم
 استعراضها وبهرهم جمالها وغاب عنهم اذاها وطاح ما لحقهم من
 الآلام وكانت لهم انيساً وحيباً

- ٩٢ -

(٨ فبراير سنة ١٩١٠)

﴿ الساعة السادسة بجانب الشباك ﴾

مالى أرى الساعات تكرر ، والاقوات تمر بسرعة هالعة لا تلوى
 على احد ، ولا تبالي بمن تباطأ وتولى عن العمل ولا تهتم بمن اعرض
 عن الاعمال العالية ، ان في الساعة لعبرة انها تسرع في قياس
 أعمارنا وتنذر بانقراض اجسامنا ، وفناء حياتنا فلنقطع الوقت بالعمل
 فانه لا محالة قاطعنا ولنسرع بنظام كما تسرع الساعة ها أنا اسمع دقتها

وافهم انذارها ، انها لا تهدأ ولا تفتأ تنذر انها لا تنام وعقل الانسان كثيرا ما ينام ، مالى ارى كثيرا من هذا النوع الانسانى لا يعملون مالى ارى فريقا من الامة لا هيا ساهيا ، مالى اراهم يضيعون اوقاتهم سدى كيف يضيع المرء وقتا بلا عمل ماذا يظن فى خلقة جسمه ، وماذا يريد من الحياه ، وهل عرف سر وجوده وهل يدع النحلة تكون اشرف منه ، والنملة تسبقه الى العمل والخيرات ، النمل لا ينتأ ليلا ونهارا فى العمل ، مالى ارى رجالا فى القرى يتخذون البطالة حرفة ويعتدون بها شرفا ويزعمون ان ذلك شأن الاشراف ويحسبون انهم على شئ ، الا انهم هم الكاذبون استحوذ عليهم الشيطان فانساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا ان حزب الشيطان هم الخاسرون

- ٩٣ -

(ليلة ١٠ فبراير سنة ١٩١٠)

قال لى قائل كيف نذوق العذاب فى هذه الحياه الدنيا بالجسد والعداوة والحر والقر أوليس الله قادرا على كل شئ ، واذا كان كذلك فلم لا يريحنا من الآلام ويبرئنا من الاسقام ويجعلنا سعداء احباء على سرر متقابلين لا يمشنا فيها نصب فقلت أيها العزيز قد كان فيما مضى من الزمان رجل صالح عابد فسنح له هذا السانح ، وفكر وقدر وبكى وتضرع الى الله أن يهديه الى الجواب وبقي لا ياكل ولا يشرب فاخذته سنة من النوم فرأى كأنه تجرد من جسمه ، وانزوحه ووقفت

بين يدي الله تعالى فقال الله له يا عبدى سئنى ، فقال يا رب لم آذيت
الناس بالحر والبرد وأنعمت وتقتم ومزجت الشر بالخير وهلا نعمتهم
وأنستهم بوجهك الكريم ، فقال الله انظر فنظر اذا شمس وقمر وارض
وكواكب سابحات فقال سا عظيمك ايها العبد قدرة وعلما حتى تتصرف
فى هذه الارض والشمس والكواكب قافل ماتشاء فنظر اذا تحت
امرته ارض كارضنا فيها بحر ملح وانهار جاريات وجبال شابخات
واحجار مختلفةا وعليها هواء وصار يدير الارض حول الشمس
والكواكب والقمر وصارت قدرته تحركها اعواما ودهورا بلا فتور
ولا خلل واخذ يحسب حركاتها ودوراتها ثم عطف على طبائع
الارض ومائها وهوائها واحجارها وحصاها وطينها فانج له انها
مستعدة لمخلوق اجمل منظرا ، وابهى حسنا ينمو ويزيد ويقوم غيره
اذا ذبل وهو النبات فقال ان من يقدر ان يخلق الاشرف من الاخس
واعرض انه جاهل وبخيل يخلق النبات فابتهجت الارض
وازدهت وحسنت واخذت زخرفها وازينت ثم اخذ يحسب وقد
اطلع على صفحات الماء تتابع ساطعات بنور القمر الوهاج وقد تمايلت
غصون الاشجار والحشائش فى جوانبه فانج له الحساب ان الماء
والحشائش والطين باجتماعها على نسب لم يفقهها الا هو تخرج شيئا
يتحرك ويسير فاخذ يخلق الحيوان ورقاه شيئا فشيئا حتى خلق الانسان
حتى وصل الى المدنية والحضارة وهم يقتتلون ويتعادون ويحارب
بعضهم بعضا كل ذلك فعله فى منامه ذلك ولم يستيقظ من رقدته ولم
يقم من نومته وبينما هو كذلك اذ ارسل الله له ملكا من الملائكة ان
احضر فحضر فلما كلمه قال له ما حملك على ان خلقت حشائش تقاسى
آلام الحر والبرد ثم زدت فى غلوائك واتبعته شهواتك وآذيت خلقك

واوجدت انسانا وحيوانا يقتنص بعضه بعضا ويفتك بعضه ببعض
 وهو معذب يقاسى الالام والاحزان ثم كيف تميمهم تارة وتبعدهم
 عن اوطانهم اخرى وهم يتقاتلون ويتحاسدون ويتدابرون ويتقاطعون
 ويتشاجرون ويعذبون ويحبون ويكرهون والاحباب يفترقون
 فيكون الحزن والشقاء والسهاد والاسقام والعلل والامراض وكم ينالون
 من محن ورزايا ونكبات وبلايا كيف تصرف هذا المتصرف الاليم
 فقال يا رب علمى الذى وهبته لى ارانى ان هذه الارض وهذا الماء
 فيها استمداد لهذه العوالم وقابلية لتلك النسمات وقد اعملت فكرتى
 وحسبت بالجبر واللوغارنات وحساب المثلثات وقضيا اخرى لا يعلمها
 الا انت ثم ظهر لى انه لن يمكن وجود بين هذه المواد احسن من
 هذا فرأيتنى فى حيرتين ووقعت بين ورطتين فاما ان اخلقها على ما
 علمت واما ان اتركها على سيرتها الاولى وقد ثبت لدى فى العلم ان
 الشئ اذا كان فيه خير وشر وحسن وقبح وسعادة وشقاء وفضيلة
 ورذيلة فالمرجع اغلبهما عليه واكثرهما فيه فان غلب الخير وضعناه
 وان غلب الشر نبذناه انى القيمة الخير فى هذه العوالم وخلقها اغلب
 فاقدمت على خلقها وسارعت لابرازها وانقت من صفة البخل والجهل
 والجود فقال الله وكيف ابتليتهم بالحر والبرد والظلم والعدل الخ : فقال
 يا رب ان الشمس وجدت قبلهم ولها دائرة انت تعلمها تبعد فيها وتقرب
 وتجيء وتذهب لها حساب معلوم وطريق مرسوم وايام معدودة وشهور
 معهودة فان قربت كان الحر وان بعدت كان البرد وعلى هذه النسبة
 كل ما منه يتألمون وبهذه النسبة ما منه يجأرون فقال وهلا اتخذت
 من الطرق الفعالة والنواميس العادلة ما يخفف عنهم آلامهم ويجعل

شقاءهم ونعيم وعذابهم ولو في امد مستقبل فقال نعم يا رب انهم
 سوف يرقون الى عالم اعلى ويزوقون الدارين ويعرفون الحالين ويفضلون
 الثانية على الاولى ويمر عليهم شقاؤهم الدنيوى وآلامهم واسقامهم
 وما لاقوا من نصب والم ومكر وحيل وما عذبوا به من الاحزان
 والاسقام فيرونها سعادة وسرورا وجمالا وجورا كمثل الصور المتحركة
 التى ينظرها المتفرجون ويأمنسها الناظرون وفيها الحروب والوقائع
 والسرقة وحيلها والغرق وكفاحها والمرضى وجراحها والناس بها
 فرحون جذلون يتمتعون بحسن تنسيقها وجميل وضعها والوقوف على
 سر ترتيبها وعللها واسبابها فيحدث ذلك فرحا في صدورهم وراحة
 في قلوبهم وملاءمة لنفوسهم وقليل ما يحسون بالآلامها ويأسفون
 لمصائبها فقد تجردت من الاذى وصارت مقصورة على الامور العقلية
 والحيل الفكرية فهكذا ترى ذلك الجريح المسكين والمريض والقتيل
 وذوى المصائب والاحزان والآلام اذا تجردوا من اجسامهم ذكروا
 تلك الايام الخالية والربوع البالية والسير الماضية فيذكرونها مجردة عن
 الاحزان مقرونة بالسرور لما انهم ذهب الحزن منهم ومضت مصائب الزمن
 بل تراهم يفرحون بنهايتها ويسرون بمضيها ويقولون الحمد لله الذى
 اذهب عنا الحزن ان ربنا لغفور شكور فتكون ذكراها لهم لذة ونعما
 وسعادة وسرورا مقيما كفرح المرء بالغنى بعد الفقر والعلم بعد الجهل
 والصحة بعد المرض والقوة بعد الضعف والوصال بعد الهجر والملاك
 بعد الرق والظل بعد الحرور فلو اننى يا رب امكنتى تجريدهم من
 الاحزان فى دنياهم ما ذاقوا هذا النعيم ولكانوا اغبياء لا يفقهون تلك
 المعانى التى مرت عليهم فى الدنيا . قال الدنيا جعلتها لهم مدرسة عليا

يفقهون فيها الاشياء باحتناسهم وحواسهم الخمس وعقولهم فاذا تعلموا
 فيها كانوا بها عالمين فتكون نارهم بردا وسلاما واحلامهم عيانا فاما
 من ظلم منهم فساوقعه في شقاء وانظر في امره فقال له الله لقد فهمت
 السر فاكتبه فاستيقظ الرجل من منامه وهو فرح بما رآه متعجب من
 الراوى وما رواه

﴿ تم الكتاب ﴾



